AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١١١) - السنة (٤٨) - ذو الحجة ١٤٣٨هـ / ١ سبتمبر ٢٠١٧م

جمعية الإصلاح الاجتماعي.. رؤية دعوية ورسالة إنسانية

في ذكرى إحراق المسجد الأقصى.. مشاهد لا يمحوها الزمن

الشيخ محمد محمود الصواف نموذج للداعية المجاهد

الخطاب الديني.. تجديد أم تبديد؟

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

الحج.. نسك ودعوة

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت ٧٥٠ فلساً - السعودية ١٠ ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر ١٠ ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن ١,٧٥٠ دينار أردني - لبنان ٤٥٠٠ ليرة - المغرب ٢٣ درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

خلهم يعيدون ويانا

ساهموا بالإفراج ورفع الضبط والإحضار عن الغارمين

جمعية التكافل
لرعاية السجناء

خدمة المتبرعين .. التبرع عن طريق الاستقطاع

2483 4414 - 966 99997

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١١١) - (السنة ٤٨)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠هـ - ٢٠٠٦/٩/٣م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير
محمد سالم الراشد

سكرتير التحرير
جمال الشرقاوي

الإخراج الفني
مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة.
الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير
٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩
٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٥ (٠٠٩٦٥)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

في هذا العدد

موضوع الغلاف

الحج.. نسك ودعوة

- جمعية الإصلاح الاجتماعي.. رؤية دعوية ورسالة إنسانية 8
- برلمانيون: الأولوية للكويتيين.. والمشكلة في سوء الإدارة 12
- الخطاب الديني.. تجديد أم تبديد؟ 30
- 9 أولويات للخطاب الديني للمسلمين في الغرب 36
- الجامعات الخاصة.. عبء اقتصادي جديد على الأسرة المصرية 44
- تونس: كيف تعاملت الحكومة مع شروط صندوق النقد؟ 46
- «ميدل إيست مونيتور»: تطهير عرقي للسُّنة في المنطقة ... 48
- البنوك الإسلامية ترى النور في المغرب 50
- حصاد 16 عاماً من «العدالة والتنمية» في تركيا 52
- ما بعد تفكك النظام الرأسمالي للاقتصاد 55

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات:
امتياز الإعلان: مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت: 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837
فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

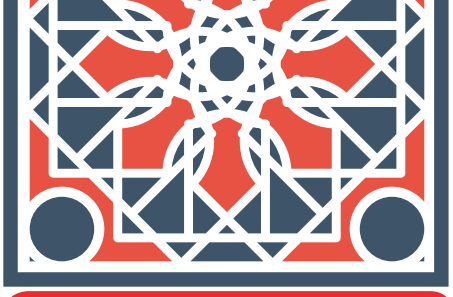

آية العدد

﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾

(سورة الفجر)

ملفات خاصة عن

اقتصاد إسلامي - تربوي -
تراجم - استشارات أسرية

مقالات

الحج.. وحدة الهدف والغاية
د. زيد الرماني 21

الخطاب الديني من التجنيد إلى التجديد
د. حازم علي ماهر 34

الحج وتعظيم الحرمات والدماء
د. يوسف السند 66

رأي المجتمع

جرائم حرب بلا عقاب!

أما آن الأوان لضمان ألا تمضي جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية بلا عقاب؟

فإذا كان الكيان الصهيوني قد ارتكب في تاريخه الذي يربو على ٦٩ عاماً جرائم كثيرة، وانتهك بصورة سافرة قواعد القانون الدولي بشن الحرب واحتلال الأراضي وضمّها وارتكاب مجازر ضد الإنسانية وأعمال إبادة جماعية، إضافة إلى جرائم الحرب، فإن هناك أنظمة ومليشيات طائفية، عدا «داعش» الذي عبث بوحشية في العراق وسورية وخصوصاً في مناطق السُّنة العرب؛ قد ارتكبت نفس الأفعال، وهي مطمئنة أن يد العدالة والقصاص لن تطولها.. ومن هذه الأنظمة نظام «بشار» الذي يرتكب على مدى أكثر من ٦ سنوات جرائم ضد الإنسانية، دون رادع، وها هي إحدى مجازره التي ارتكبها ضد الشعب السوري يمر عليها ٤ سنوات دون عقاب، وهي مذبحة الغوطة الشرقية التي قصفها نظام «بشار» بالصواريخ الكيميائية في ٢١ أغسطس ٢٠١٣م؛ ما أدى إلى استشهاد وإصابة المئات من الأطفال والنساء والشيوخ والرجال.

كما أن السلطات في ميانمار، والمليشيات الطائفية بالعراق وعلى رأسها «الحشد الشعبي»، و«حزب الله» في لبنان، و«الحوثي» في اليمن، ومليشيات حفتر في ليبيا، يرتكبون جرائم ضد الإنسانية، دون أن تطالهم أي محاسبة دولية.

لقد أقرّ ميثاق الأمم المتحدة مبادئ العدالة، وأكد احترام الالتزامات الناجمة عن المعاهدات والاتفاقيات الدولية، باعتبارها أحد أهم مصادر القانون الدولي المعاصر، إلا أن رقعة الانتهاكات للقانون الدولي لا تزال مستمرة، وأن حجم الارتكابات مثير للقلق؛ وهو ما يضع علامات استفهام كبيرة وجدّية أمام المجتمع الدولي بشأن نظام العدالة السائد، ويضع أمامه تحديات بخصوص استخفاف تلك الأنظمة والمليشيات وتنكّرها للقواعد والقرارات الدولية، لاسيما تلك التي تصدرها الأمم المتحدة.

ولعل مسألة الجريمة والعقاب وملاحقة المجرمين المتهمين بارتكاب جرائم حرب لا تتوقف عند حدود، فما أن تنتهي قصة حتى تبدأ أخرى.

لقد أصبحت مسألة إفلات مجرمي الحرب من العقاب مثار جدل فقهي دولي، قانوني وسياسي، لاسيما أن العديد من المنظمات الدولية، وخصوصاً الحقوقية، أخذت تضغط على المجتمع الدولي للتمسك بمبدأ عدم إفلات المرتكبين من أيدي العدالة، خصوصاً إذا ما عرفنا أن حماية السلم والأمن الدوليين أحد أبرز الأهداف السامية للأمم المتحدة التي لا يمكن تحقيقها دون بلوغ احترام حقوق الإنسان وتأمين مبادئ العدالة، خصوصاً ضمان حق الحياة والعيش بسلام ودون خوف.

كما أن مسألة الكيل بمكيالين التي تتبعها القوى الكبرى في العالم حين تصنف جماعات أو منظمات سلمية، أو تقاوم المحتل، على أنها منظمات إرهابية في الوقت الذي تغض الطرف عن المليشيات الطائفية التي تمارس الإرهاب بالفعل وترتكب جرائم إبادة جماعية.. يجب أن تتوقف.

فإلى متى يستمر مجرمو الحرب في الإفلات من العقاب؟!■

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

قطـر :
مكتبة الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحـرين :
مؤسسـة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: 725111 / ف: 723763
المغـرب :
الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع: الـدار البيضـاء
ص.ب 13008 ـ الدار البيضاء الرئيسة
ت: 0021222249200 فاكس: 0021222249214
U.K : UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION
LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY
Tel: 0181- 742 3344 Fax: 0181- 742 1280
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
.Tel: (90 -1) 5120190 - Fax. (90- 1) 5140883

السعودية: ٣٩ عنصراً تجسسوا لصالح إيران

أعلنت الجهات الأمنية المختصة بمكافحة الإرهاب بالسعودية، أن النظام الإيراني جند ٣٩ عنصر تجسس داخل المملكة، جميعهم سعوديون، عدا عنصرين يحملان الجنسيتين الإيرانية والأفغانية؛ بهدف زعزعة الأمن والاستقرار في السعودية.

وبحسب صحيفة «عكاظ» السعودية، سعت تلك العناصر التي تمت الإطاحة بهم بشكل متتال منذ أربعة أعوام، ابتداءً من عام ١٤٣٤هـ حتى العام الماضي بتنفيذ عمليات إرهابية داخل السعودية من عمليات تفجيرية واغتيالات لرجال الأمن، إضافة لنقل معلومات عسكرية حساسة إلى جهاز المخابرات الإيراني، ومعلومات سرية عن خطوط وأنابيب نفطية، وخلق فوضى في محافظة القطيف لزعزعة الأمن الداخلي، وتفكيك وحدة النسيج الوطني بإثارة الفتنة الطائفية.

وكشفت الصحيفة السعودية عن جلسة محاكمة جديدة تمت لخمسة عناصر متهمين بالتخابر لصالح النظام الإيراني، سعى ذلك النظام إلى الإضرار بأمن واستقرار السعودية بإثارة الفتنة الطائفية في محافظة القطيف عبر تدريبه عدداً من الشباب من الذكور والإناث في طهران على دورات تهدف لتنظيم التجمعات وكيفية إدارتها، وكيفية إقناع الشباب بأهمية ودور تلك التجمعات في تأجيج الرأي العام ضد الدولة، إضافة لاتفاق تلك العناصر الخمسة على مد العناصر الإرهابية في محافظة القطيف بالأسلحة تهريباً من إيران عبر البحر.

وكانت المحكمة الجزائية المتخصصة بالرياض بدأت أولى جلسات محاكمة العناصر الخمسة المتهمين بالتخابر لصالح النظام الإيراني، وتلقيهم دورات تدريبية في طهران على العلوم العسكرية وصناعة المتفجرات في معسكرات الحرس الثوري الإيراني.

واتهم المدعي العام أحدَ عناصر المجموعة التجسسية باشتراكه في تمويل الإرهاب والعمليات الإرهابية بشرائه قارباً بحرياً بقيمة ٧٠ ألف ريال، من أجل تهريب الأسلحة عن طريقه إلى المملكة، واستطلاعه الحراسات البحرية في الخليج العربي، ومقابلة أشخاص يعتقد أنهم من الجنسية الإيرانية بغرض تهريب الأسلحة والمطلوبين أمنياً إلى محافظة القطيف من أجل نشر الفوضى.

واتهم المدعي العام للنيابة العامة عنصراً من المتجسسين بالانتماء لمليشيا «حزب الله» الإرهابية، وإرساله حملتين لإيران شاملتين للجنسين لتلقي الدورات في إيران، التي هدفها التدرب على كيفية إنشاء وتنظيم المسيرات والتجمعات للشغب في القطيف، وإقناعه عدداً من الأشخاص بالسفر لإيران لتلقي التدريبات العسكرية، وحصوله على خمسة آلاف دولار من أحمد المغسل (الموقوف حالياً)، لترغيبه بالاستمرار بهذا العمل، وإنشائه مكتباً للسياحة والسفر مع أحد أصدقائه كان الهدف منه إرسال الشباب خارج المملكة لتلقي دورات تخدم المظاهرات في محافظة القطيف. ■

.. وفي البحرين:

ضبط خلية «إرهابية» مرتبطة بالحرس الثوري الإيراني

أعلنت وزارة الداخلية البحرينية عن ضبط خلية «إرهابية»، قالت: إنها مرتبطة بالحرس الثوري الإيراني، مشيرة إلى أنه جرى اعتقال ٧ أشخاص من عناصر الخلية وضبط كميات كبيرة من المواد المتفجرة.

وأفاد بيان وزارة الداخلية البحرينية أن الخلية يتزعمها المدعو حسين علي أحمد داود، أحد قياديي تنظيم سرايا الأشتر، الذراع الإرهابية لما يسمى بتيار الوفاء الإسلامي، مسقطة جنسيته، وهارب في إيران، ومحكوم بالمؤبد في ٣ قضايا إرهابية وحكم آخر بالسجن ١٥ عاماً، ومتورط في تشكيل العديد من الخلايا الإرهابية والتخطيط لتنفيذ جرائم إرهابية أدت إلى استشهاد عدد من رجال الأمن، ويدير خلايا إرهابية، وهو على صلة وثيقة بالحرس الثوري الإيراني والمدعو مرتضى السندي.

وأضاف البيان أنه تم القبض على ٧ من عناصر هذه الخلية، فيما تتواصل أعمال البحث والتحري للقبض على بقية العناصر الإرهابية الهاربة، حسب «سي إن إن».

وأوضح البيان أن أعمال البحث والتحري وجمع المعلومات أسفرت عن ضبط كميات من المواد المتفجرة في مواقع مختلفة من قرى دمستان وكرزكان والمالكية ودار كليب تستخدم كورش لتصنيع القنابل محلية الصنع، وتخزين المواد الخاصة بصناعة العبوات المتفجرة وذلك وسط مناطق مأهولة بالسكان.

وأشارت وزارة الداخلية إلى أنه تم العثور على كميات كبيرة من المواد شديدة الانفجار والمواد التي تدخل في صناعتها، والتي قدرت بما يفوق ١٢٧ كيلوجراماً، من بينها ما يزيد على ٢٤ كيلوجراماً من مواد C4 وTATP ونيترو سيليلوز شديدة الانفجار، بالإضافة إلى مواد كيميائية، وعدد من العبوات المتفجرة الجاهزة للاستخدام، وسلاح أتوماتيكي وأسلحة أخرى محلية الصنع، وصواعق وقنابل يدوية وكميات من الذخائر الحية.■

تهنئ مجلة «المجتمع» الأمة الإسلامية بقدوم موسم الحج وعيد الأضحى المبارك أعاده الله على الأمة بالخير واليمن والبركات.

عُمان تطلق خدمة التأشيرة الإلكترونية لتعزيز مكانتها السياحية

في خطوة تهدف إلى ترسيخ مكانتها كوجهة سياحية استثنائية خلال الأعوام القادمة، أطلقت سلطنة عُمان خدمة التأشيرة الإلكترونية لتسهيل الحصول على التأشيرات.

وتأتي هذه الخطوة في إطار حرص السلطنة على تذليل العقبات والصعوبات أمام السياح والزوار، وأصبح بإمكان الزوار الذين يخططون لزيارة سلطنة عُمان التقدم بطلب الحصول على التأشيرة عبر الإنترنت من خلال الموقع الإلكتروني www.evisa.rop.gov.om.

وتشمل المرحلة الأولى تأشيرات سياحية غير مرخصة للأشخاص من ٦٧ بلداً، فضلاً عن المقيمين في دول مجلس التعاون الخليجي العاملين في ١١٦ مهنة، حسب «أريبيان بزنس».

جدير بالذكر أن نظام التأشيرة الإلكترونية يسمح للزوار إجراء طلبات الحصول على التأشيرة التي يتم استخراجها وفقاً للقوانين والأنظمة في سلطنة عُمان.

ويحتاج السياح فقط إلى ملء النموذج عبر الإنترنت وإرفاق الوثائق اللازمة، كذلك دفع رسوم الطلب عن طريق بطاقة الائتمان من خلال بوابة الدفع العالمية المعتمدة رسمياً من قبل سلطنة عُمان، وسوف يتلقى جميع المتقدمين الإخطارات من خلال رسائل البريد الإلكتروني المقدمة.

وقال سالم بن عدي المعمري، مدير عام الترويج السياحي لدى وزارة السياحة بعُمان: يشكل نظام التأشيرة الإلكترونية الذي أعلنت عنه السلطنة مؤخراً أهمية كبيرة؛ حيث تهدف هذه الخطوة إلى ضمان مواصلة النمو في قطاع السياحة خلال السنوات القادمة حيث تعود الفائدة ليس فقط على السياح بل أيضاً على المستثمرين ورجال الأعمال والباحثين والطلاب، فضلاً عن سهولة الحصول على التأشيرات، وفي العام الماضي، وصل عدد السياح الوافدين إلى ثلاثة ملايين، ومن المتوقع أن يصل إلى أكثر من ٤ ملايين بحلول عام ٢٠٢٠م.■

جمعية الإصلاح الاجتماعي.. رؤية دعوية ورسالة إنسانية

تسعى إلى الشراكة المجتمعية مع مؤسسات المجتمع المختلفة فيما يعود بالخير على الصالح العام

كتب: سامح أبوالحسن

تنطلق جمعية الإصلاح الاجتماعي من خلال رؤيتها إلى أن تكون المؤسسة الأهلية الرائدة في نشر الدعوة والعمل الخيري والإنساني، وتمثيل التوجه الإسلامي الرشيد، للمساهمة في تنمية المجتمع وعلاج مشكلاته في إطار الشريعة الإسلامية السمحة، ومن خلال التواصل المجتمعي وتأهيل المجتمع لتطبيق الشريعة الإسلامية.

تتجسد رسالة الجمعية في إصلاح الفرد والأسرة، والمساهمة في بناء المجتمع في إطار العقيدة والقيم الإسلامية، بما يحقق نماءه واستقراره والمحافظة على هويته، والقيام بدوره تجاه الأمة العربية والإسلامية من خلال الوسائل المتنوعة للدعوة إلى الله التي تستهدف كافة فئات المجتمع بانتهاج الحكمة والموعظة الحسنة.

كما وضعت الجمعية أهدافاً دعوية إسلامية شاملة، لتواصل جهود رجالات الكويت في الإصلاح الاجتماعي الشامل، منها المساهمة في تعزيز الاتجاهات الإيجابية لكافة شرائح المجتمع نحو عمل الخير والاستقامة وشغل أوقات الفراغ بما يفيد وينفع، والشراكة المجتمعية مع مؤسسات المجتمع المختلفة فيما يعود بالخير على الصالح العام، وتوفير البيئة التربوية والدعوية الصالحة للشباب والمجتمع التي تسهم في رفع المستوى التربوي والإيماني للفرد والمجتمع، وترسيخ قيم وأخلاق المجتمع الإسلامية وعاداته والمحافظة على نسيجه الاجتماعي ومكافحة الآفات الاجتماعية والعادات الضارة والمحرمات، وتشجيع أعمال البر والخير، ومناصرة الحق والعدل في ظل المبادئ الإسلامية، وجمع الأمة على مبادئ الإسلام ودعوتها للأخذ به عقيدة ومنهجاً وسلوكاً، والمساهمة في تطوير المناهج للجهات المختصة في كل الشؤون كالتربية والتعليم والإعلام فيما يعود بالخير على الصالح العام وفقاً للتشريع الإسلامي، والمساهمة في إيجاد الحلول الناجعة للمعضلات التي تواجه مجتمعنا الإسلامي والسعي نحو تحقيقها.

ولتحقيق هذه الأهداف والرسالة اعتمدت الجمعية هيكلاً إدارياً متطوراً؛ فهناك قطاعات النشء، والصحة الصالحة، وأمانة العمل الاجتماعي، وأمانة العمل النسائي، والرحمة العالمية، ونماء للزكاة والتنمية المجتمعية، وأمانة شؤون القرآن الكريم، وقطاع الدعوة والتثقيف الشرعي، ولجنة التوعية الاجتماعية.

وفي هذا التقرير نستعرض الدور الخيري والتنموي لجمعية الإصلاح الاجتماعي عبر لجانها المختلفة.

«الرحمة العالمية».. وبناء الإنسان

عملت الرحمة العالمية على إطلاق المشروعات التنموية الكبرى التي تستهدف بالأساس بناء الإنسان وإعفافه، وهي الرسالة السامية للإسلام كحضارة للخير؛ حيث كان هدفها في المجتمعات التي تعمل بها أن تقوم على تمكين الفئات المهمشة والفقيرة والضعيفة وفقاً لرؤية إسلامية قيمية حضارية.

وفي هذا الصدد، قال رئيس مكتبي قرغيزيا والصين في الرحمة العالمية د. علي الراشد: إن التعليم هو الوسيلة الطبيعية التي تقود التنمية في المجتمعات، في ظل وجود ما يزيد على ٧٥٠ مليون شخص أميّ، منهم ١١٥ مليوناً من الشباب، فيما تمثل الإناث ثلثي عدد الأميين في العالم وفقاً لإحصائيات الأمم المتحدة، لذلك وضعت الرحمة العالمية التعليم على رأس أولوياتها، حيث أنشأت أكثر من ٤٣٦ منشأة تعليمية.

«الرحمة العالمية» أطلقت المشروعات التنموية الكبرى التي تستهدف بالأساس بناء الإنسان وإعفافه

الراشد: «الرحمة» أقامت ٤٣٦ منشأة تعليمية و١٣.٨٩ مشروعاً للكسب الحلال

وأكد الراشد أن العمل الخيري الكويتي يقوم على إستراتيجية خاصة؛ حيث لم يعد مقتصراً على المساعدات الإغاثية أو حفر الآبار، بل تطور تطوراً كبيراً إلى أن أصبح يقوم بإنشاء المجمعات التنموية والمدارس والمستشفيات وغيرها من المشروعات الخيرية والإنسانية الضخمة، وأصبحت المؤسسات الإنسانية تقوم بما تحتاجه الدول من مشروعات إنسانية مختلفة.

وأوضح الراشد أن العمل التنموي والتعليمي الذي تقوم به الرحمة العالمية من أهم الوسائل المستخدمة للمشاركة في النهوض بمكانة المجتمعات في عصرنا الحالي، ويكتسب أهمية متزايدة يوماً بعد يوم، فهناك قاعدة مسلّم بها مفادها أن الحكومات، سواء في البلدان المتقدمة أو النامية، لم تعد قادرة على سد احتياجات أفرادها ومجتمعاتها، ولذلك كان لا بد من وجود جهة أخرى موازية للجهات الحكومية تقوم بملء المجال العام وتكمّل الدور الذي تقوم به الجهات الحكومية في تلبية الاحتياجات الاجتماعية، ويطلق على هذه الجهة «المنظمات الأهلية».

وأشار الراشد إلى أن حقيقة العمل الخيري وخططه في الرحمة العالمية ترتبط فيما يمكن أن تحدثه من تأثيرات وتغيرات في المجتمع باتجاه التنمية الشاملة، فهو ليس جهوداً تُبذل وحسب لإنقاذ مصاب أو علاج مريض أو أموالاً تنفق لسد رمق محتاج أو إغاثة هنا وهناك وحسب، ومع أهمية كل ما سبق فهناك خطة العمل الخيري والتنموي في الرحمة العالمية تتجه إلى التنمية وبناء المجتمع فرداً وأسرة.

وبيّن الراشد أن الأمر لا يقف عند المشروعات التعليمية فحسب، بل للمشروعات التنموية الصغيرة نصيب من هذا الأمر؛ حيث تقوم الرحمة العالمية بتوزيع مشروعات تنموية صغيرة – الكسب الحلال – على الأسر المتعففة؛ وذلك بهدف تمكين الأسر الفقيرة من الاعتماد على نفسها لتحقيق حياة أفضل لهم، والمساهمة في علاج مشكلة الفقر والبطالة بطرق دائمة تختلف عن تقديم المساعدات المباشرة المؤقتة.

وأضاف الراشد أن الرحمة العالمية لديها إستراتيجية خاصة في المساهمة في محاربة الفقر في المجتمعات من خلال وضع حلول جذرية لها، فلم تقف عند حدود المساعدات الغذائية أو القوافل الإغاثية المتنوعة عند حدوث الكوارث، بل وضع حلول مستدامة من خلال مشروعات الكسب الحلال

• د. علي الراشد رئيس مكتبي قرغيزيا والصين وسط مجموعة من الأطفال

• مجمع الكويت الخيري التعليمي في الصومال

• مجموعة من أيتام تكفلهم الرحمة العالمية يحفظون القرآن

والمشروعات الصغيرة التي تقوم على توفيرها لرب الأسرة، حيث قامت منذ تأسيسها على توزيع ١٣٠٨٩ مشروعاً للكسب الحلال.

الريادة في التنمية المجتمعية:

أما رئيس قطاع أفريقيا في الرحمة العالمية سعد مرزوق العتيبي، فأشار إلى أن الفقر هو سبب للتهميش والإقصاء الاجتماعي ونتيجة لهما في آن معاً؛ لذلك سعت الرحمة العالمية إلى محاربة الفقر من خلال منظومة متكاملة من الأعمال الخيرية والإنسانية، فقد سعت إلى بناء المجمعات التنموية التي تشتمل على مدارس ابتدائية وإعدادية وثانوية ومدارس فنية؛ وذلك حتى يخرج من تلك المجمعات أيتام قادرون على الاعتماد على أنفسهم.

وأوضح أن مجمعات الرحمة التنموية لرعاية الأيتام تساهم في تغيير مفهوم كفالة الأيتام وطلاب العلم من مجرد إطعام فقط إلى رعاية شاملة وتنمية حقيقية، حيث تتلخص فلسفة الرحمة العالمية في تحصين اليتيم منذ الصغر؛ ليصبح قادراً على الاعتماد على نفسه، مشيراً إلى أنّ اليتيم يخرج من مجمعات

العتيبي: «نماء» تعمل على تغيير مفهوم الكفالة من مجرد الإطعام إلى الرعاية الشاملة والتنمية

الرحمة العالمية ليساهم في تنمية المجتمع.

وبيّن العتيبي أن مجمعات الرحمة التنموية لرعاية الأيتام في جيبوتي تعتبر مشروعات رائدة ونماذج مشرقة للتنمية الاجتماعية المنشودة في الدول التي نعمل بها، وذلك بما ترسخه من معانٍ إنسانية سامية، فقد تجاوز القائمون

• مجمع الرحمة في سريلانكا

عليها الإطار التقليدي من بناء المساجد وحفر الآبار وتقديم الإغاثة الإنسانية العاجلة، إلى وضع خطة إستراتيجية شاملة وواضحة ترسم احتياجات المجتمع في التربية والتعليم والصحة، وحسن استخدام الموارد المتاحة للمساهمة في التنمية الشاملة المستدامة في البلاد.

وأشار إلى أن تلك المجمعات تحتوي على جملة من المشروعات التنموية الهادفة؛ منها دار للأيتام، ومدارس لكل من المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية، إضافة إلى مدارس ثانوية صناعية، ومبان للخدمات تحتوي على مطبخ وصالة طعام ووحدة غسيل وكي الملابس، إلى جانب ذلك الخدمات الأخرى، من بينها المستشفيات المتكاملة.

وتطرق إلى أحد مجمعات الرحمة التنموية الذي حصل على جائزة أفضل المبادرات المجتمعية في مجال رعاية الأيتام، بدول مجلس التعاون الخليجي لعام ٢٠١٥م، وذلك عن مجمع الرحمة التنموي بجمهورية جيبوتي، ضمن جائزة السنابل للمسؤولية المجتمعية لمؤسسات رعاية الأيتام في دول مجلس التعاون الخليجي لعام ٢٠١٥م في مملكة البحرين برعاية الرئيس الفخري لجمعية السنابل لرعاية الأيتام في المملكة الشيخ سلمان بن عبدالله آل خليفة، وبالشراكة مع الشبكة الإقليمية للمسؤولية الاجتماعية.

نماء.. والرعاية الشاملة

قال مدير إدارة شؤون وخدمات المستفيدين في نماء فهد زيد المطيري: إن الإسلام حث على رعاية اليتيم وتوفير حاجاته ومتطلباته وجعل النفقة عليه خير نفقة ينفقها المسلم يرجو ثوابها من عند الله، حيث قال الله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾) (البقرة)، وقال عز وجل: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ) (البقرة: ٢٢٠)؛ لذا تسعى نماء للزكاة والتنمية المجتمعية إلى رعاية الأيتام رعاية شاملة من خلال سد احتياجات الأيتام وتحسين أحوالهم المعيشية والاجتماعية والتعليمية والصحية والنفسية.

وبين المطيري أن نماء تعطي البرامج والأنشطة الترويحية والتعليمية والاجتماعية الخاصة برعاية الأيتام أهمية قصوى وتهتم كثيراً بتنشئتهم وغرس قيم دينية وثوابت اجتماعية تسهم بصورة إيجابية في بناء شخصية اليتيم ودعمه معنوياً ليصبح شخصاً فاعلاً في المجتمع، مشيراً إلى أن نماء لا تكل ولا تمل في سبيل توفير سبل العيش الكريم والرعاية الدائمة لأكثر من ١١٣٠ يتيماً في كفالتها ورعايتها داخل دولة الكويت؛ مركز العمل الإنساني، وأنها لا تدخر جهداً في إدخال السرور والبهجة على قلوب أيتامها.

وأضاف المطيري أن نماء تسعى إلى إطلاق عدد من المشروعات التنموية الإنسانية والخيرية والتي تدعم عمل الخير، كرسالة إنسانية، خاصة بعد أن أصبحت الكويت مركزاً للعمل الإنساني، مما يضاعف من أهمية العمل بشكل مؤسسي ومخطط له، وأهمية التعامل معه كصناعة يُخطط لها، وتُجرى له البحوث والدراسات، وتُسخر له الجهود والإمكانات، لتحقيق الاستدامة للعمل الخيري والديمومة للنتائج ولننتقل بالعمل الخيري من نظرة ضيقة تقتصر على الإحسان إلى المحتاجين إلى التنمية الشاملة للمجتمع لذا نفذت مشروع «خله منتج» الذي

المطيري: نماء تسعى إلى رعاية الأيتام من خلال سد احتياجاتهم وتحسين أحوالهم

يهدف إلى تأهيل الأسر المتعففة وتزويدهم بالمهارات اللازمة من خلال الدورات التدريبية من أجل توظيفهم في سوق العمل، وتحسين حياتهم المعيشية؛ عن طريق دورة تدريبية مكثفة لمدة ثلاثة أشهر موزعة على التدريب العملي والميداني.

وتابع المطيري: إن البرنامج اشتمل على ثلاث دورات؛ دورة مقيم عقاري، ودورة الخياطة، ودورة موظف استقبال، مؤكداً أن حرص نماء على مثل هذه المشروعات يأتي انطلاقاً من الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقها تجاه تنمية المجتمع واستثمار الطاقات الشبابية، وتنمية وصقل المواهب، وتوفير فرص عمل للشباب من الجنسين وخلق طاقات إنتاجية فاعلة.

وأضاف المطيري أن عدد المشاركين من الجنسين بلغ ٣١ مشاركاً ومشاركة، وتم التركيز بشكل كبير جداً على التدريب الميداني، مبيناً أن هذا البرنامج تنفيذ للبرنامج التأهيلي لسوق العمل تحت شعار «خله منتج» من أجل تحويل الشباب المعتمدين على أموال الزكاة والمساعدات إلى أيادٍ وطاقات منتجة وفاعلة من خلال تدريبهم وتأهيلهم.

وبين المطيري أن من أهم أهداف المشروع الذي قامت به نماء هو تأهيل وتدريب الشباب وبناء قدراتهم الوظيفية بما يتوافق مع احتياجات سوق العمل والإعداد المسبق بعمل المقابلات الشخصية لقبولهم في الدورات، والمساهمة في القضاء على البطالة التي تؤدي إلى الانحراف السلوكي والوجداني لدى الشباب، وإتاحة الفرصة للمشاركين في الحصول على وظائف في المؤسسات الخاصة والأهلية بما يتوافق مع مهاراتهم وقدراتهم المكتسبة من خلال البرنامج، وتنمية الإحساس بالمسؤولية لدى هذه الفئة تجاه المجتمع، والحد من الانحراف السلوكي الناتج عن بطالة الشباب.■

برلمانيون حول تعيين الوافدين بالجهات الحكومية:

الأولوية للكويتيين.. والمشكلة في سوء الإدارة وتجار الإقامات

تصاعدت قضية خلل التركيبة السكانية وتعيين الوافدين في جهات الدولة رغم توافر الخبرات الكويتية؛ حيث أكد عدد من النواب أن القضية ليست هجوماً على الوافدين بقدر ما هي مشكلة تنمية اقتصاد وسوء إدارة حكومية ووجود تجار إقامات.

قال النائب د. جمعان الحربش: من المؤكد أن الأولوية يجب أن تكون للكويتيين في الأجهزة الحكومية، هذا هو الواجب والمسؤولية التي تتحملها الحكومة، ووجود الوافدين في أي وظيفة ممكن أن يشغلها كويتي خطأ تتحمله الحكومة، ويجب أن تبادر لإصلاحه، وأوضح دليل على ذلك إعلانات وظائف لطلب أعضاء هيئة تدريس لجامعة الكويت أو التطبيقي أو طلبات متزايدة للتعاقد مع أعضاء السلطة القضائية في دول عربية، بينما يتم قبول أعداد قليلة من الكويتيين، ويرد الكثير منهم لأسباب غير علمية.

وأوضح الحربش في بيان صحفي أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال تعيين الوافدين بغرض التنفيع كما يحدث للأسف في بعض المناصب الاستشارية في بعض الجهات الحكومية، وهناك رواتب لا يحصل عليها المواطن في ذات التخصص ومتوافرة بسوق العمل الكويتية، فالمواطن أولى في بلده من غيره.

وأضاف: إن صحّ خبر من يهدد الكويت بإجراءات دولية؛ فمن واجب الحكومة اتخاذ موقف سياسي وقانوني، فهو لم يكن ليجرؤ على ذلك لو لم يجد دعماً سياسياً من حكومته، لكن من المهم أن ننتبه جميعاً.

وتابع: نحن نؤكد هذا الحق، وألا يتحول هذا الأمر إلى خطاب انتقاص أو هجوم على وجود الوافد في الكويت أو التقليل من قيمة ما يقدمه الكثير منهم للكويت وأهلها أو تحميله فوق طاقته، فنحن لا نعيش وحدنا في هذا البلد، ففي الكويت ٣ ملايين وافد يعيشون معنا في ظروف معيشية مماثلة يسعون ويتأثرون بما نقول سلباً أو إيجاباً، وبعضهم ضحايا لأصحاب عقود وهمية أو تجار إقامات وهو يطحن مواصلاً الليل بالنهار ليدفع الإتاوة التي أثقلت كاهله وكسرت ظهره لتجار الإقامات.

وطالب بعمل جاد وشفاف ومتدرج لإصلاح الخلل الفادح في التركيبة السكانية في الكويت، وأولوية التعيين هي للكويتي، ثم غير محددي الجنسية، ثم الخليجيين، ثم الإخوة من الدول العربية بتنوع مدروس، فتضخم عدد بعض الجاليات خطر أمني واجتماعي، ولكن لكل هؤلاء يجب أن تتوافر حياة كريمة مقابل عمل حقيقي لا هامشي، ومنذ قدومه للكويت يجب أن يعرف ما له وما عليه.

فيما كشف النائب محمد الدلال عن توقيعه طلباً لمناقشة موضوع رفع قضايا دولية ضد الكويت من بعض المقيمين في أولى جلسات دور الانعقاد المقبل، وأكد الدلال في تصريح صحفي أهمية وضع تصور لكيفية التعامل مع هذه القضية، والعمل على تقليص العمالة الزائدة أو التي تتسبب في مشكلات أمنية.

واعتبر الدلال أن توجه بعض المقيمين إلى رفع قضايا دولية ضد الكويت إساءة بالغة للعلاقة التي تربطهم مع الكويت، آملاً أن يسحبوا قضاياهم حرصاً على سمعة الكويت في المحافل الدولية، وأضاف الدلال أن هناك منطلقات عدة للحديث عن التركيبة السكانية وإعادة النظر فيها، منها الأعداد الكبيرة للمقيمين في الكويت ما ينعكس سلباً على الخدمات العامة.

وأوضح الدلال أن القضية لا تحمل إساءة للوافدين؛ لأن الأصل أن الناس سواسية، وأن الحديث هنا ينصب على العمالة الهامشية التي تزاحم المواطنين بالوظائف في الإدارات والمؤسسات وأجهزة الدولة الحكومية.

ضد تجاوزات المسؤولين

وقال النائب صالح عاشور: من يعتقد أننا كنواب ضد إخواننا الوافدين فهو واهم، موضحاً أن النواب ضد تجاوزات المسؤولين في الحكومة، وضد التعيينات غير القانونية التي جاءت على حساب المواطنين الكويتيين.

من جهته، قال النائب د. عادل الدمخي: إن مشكلتنا ليست في الإخوة الوافدين بقدر ما هي مشكلة تنمية اقتصاد وسوء إدارة حكومية ووجود تجار إقامات، بالإضافة إلى تعيينات أشخاص فاشلين في مجالس عليا تخطط للبلد وترسم مستقبله، مؤكداً أنه إذا استمر هذا النهج فستستمر المشكلات وتزداد.■

الحج.. نسك ودعوة

«لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

بهذه الكلمات تلهج ألسنة حجيج بيت الله الحرام كل عام؛ فتخفق القلوب لخالقها، وتخضع الجوارح لبارئها، في تناغم عجيب بين أعمال الظاهر والباطن، فالتلبية التي يلهج بها اللسان تترجم مظاهرها في حالة الخضوع والاستسلام لرب البيت والحرم الذي جاءه الملايين من كل حدب وصوب ليذكروا اسمه تعالى ويشهدوا منافع لهم.

ولا شك أنه في ظل هذه النفحات الطيبة تكون النفوس مهيأة والقلوب منفتحة لتقبل الحق، وسلوك درب التوبة، وولوج باب التغيير؛ فهو فرصة للدعوة والعبادة والتقرب؛ فهي منافع متعددة ونفحات متنوعة تحتاج إلى الداعية الأريب الذي يقرب الناس من ربهم، ويأخذ بأيديهم إلى طريق بارئهم؛ حتى يكون موسم الحج انطلاقة كبرى إلى التغيير على المستوى الفردي والجماعي، محققاً المقاصد والأسرار والحِكَم التي من أجلها شرع الله هذه العبادة.

وتقدم «المجتمع» هذا الملف الذي يلقي الضوء على شعيرة الحج باعتبارها نسكاً يتنسك به المسلم لربه، وباعتبارها فرصة دعوية يستثمرها الداعية في تثبيت القلوب على الطاعة وتحبيبها في طريق الهداية.■

فريضة الحج..
مقاصد وغايات

من المقرر في العقيدة الإسلامية أن الله تعالى لا يخلق شيئاً باطلاً ولا يشرع شيئاً عبثاً، إنما شرع كل شيء لحكمة، وأمر بكل أمر لغاية، ونهى عن كل نهي لمقصد، وخلق كل شيء فقدره تقديراً.
وما من شك في أن الحج - أو الفريضة الخامسة كما جاء ترتيبه في حديث «بني الإسلام على خمس» - من أعظم شعائر الإسلام، وحسبنا ما قاله حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في بداية كتاب أسرار الحج من الإحياء: «إن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين».

د. وصفي عاشور أبو زيد
دكتوراه في مقاصد الشريعة

من هنا وجب على كل مسلم أن يرفع أمامه مقاصد الحج وغاياته، وحِكَمه وأسراره، حتى يكون على بصيرة من أمره، وفقه من دينه، واستمتاع بعبادته، فإن ذلك أرجى للخشوع والخضوع فيها، وإتمامها على الوجه الصحيح المقبول.

الحقيقة أن مقاصد الحج متنوعة إذا نظرنا إليها من زوايا متعددة، فمنها ما يتصل بالدنيا، ومنها ما يتصل بالآخرة، ومنها ما يتصل بالأفراد، ومنها ما يتصل بعموم الأمة، ومنها ما يحصل حقوق الخالق، ومنها ما يعود على المخلوقين، وقد رأيت - بعد التأمل - أن أقسمها تقسيماً آخر يبدو فيه وضوح محاور كبيرة تضم تحتها مقاصد متعددة ومتنوعة، وتحقق الزوايا المتنوعة سالفة الذكر.

مقاصد ربانية وإيمانية:

فمن هذه المقاصد التي شُرع الحج لها مقاصد تندرج تحت الإيمان وتزكية النفس، ففي كل شعيرة من شعائر الحج يبدو مقصد تحقيق التوحيد بارزاً وواضحاً بروزاً لا يحتاج إلى بيان، ووضوحاً لا غموض معه ولا لبس فيه.

فالمسلم يخرج من بيته تاركاً أهله ووطنه وماله وتجارته مهاجراً إلى الله، يرجو رحمته ويخشى عذابه، لا يعبد معه شيئاً، ولا يشرك به أحداً، بل يتمحض التوحيد وإفراد الله بالعبودية هنا أتم ما يكون التمحُّض، فيا له من مشهد مهيب حين نرمق الوفود المنطلقة في البر والبحر والجو تجأر إلى الله تعالى بالدعاء والتهليل، والذكر والشكر والتمجيد في عالم ما أكثر التائهين فيه عن الله والمتمردين عليه، وما أكثر العابدين بغير ما أنزل الله وبغير ما شرع.

وشعار الحجيج في هذه الشعيرة: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، لهو خير شاهد على ذلك، وكذلك ذكره ودعاؤه والابتهال إليه والتكبير والتسبيح كلما هبطوا وادياً أو علوا جبلاً، فكل أعمال الحج يتخللها الذكر، ويتجلى فيها الثناء والدعاء والخوف والرجاء حتى عند أداء الشعائر التي ربما لا نعرف لها حكمة بادي الرأي.

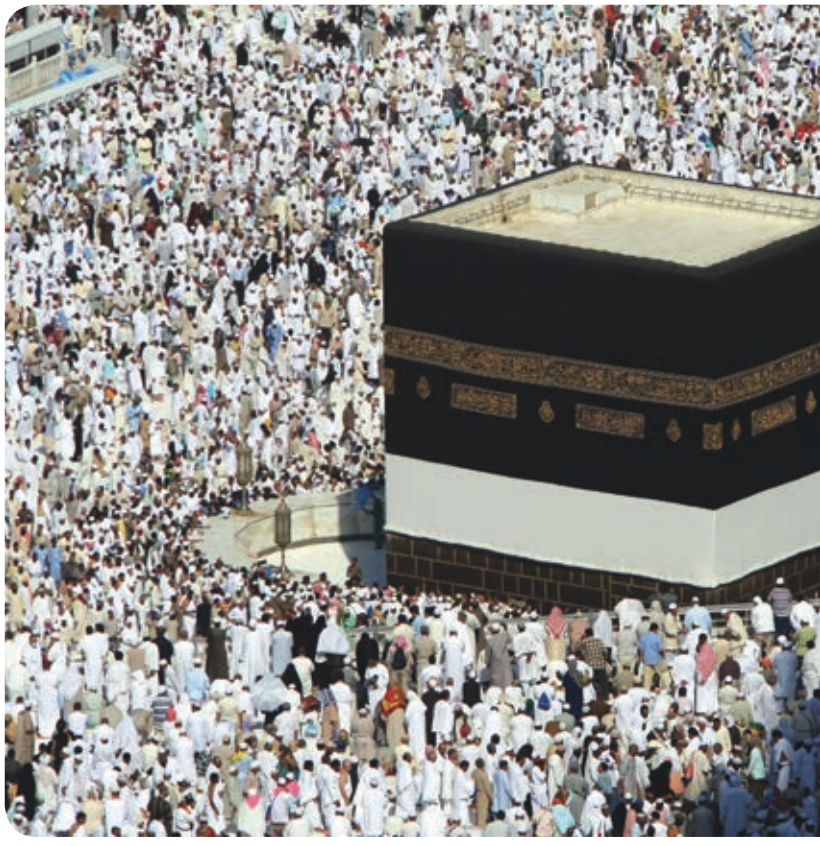

يقول الشيخ الغزالي يرحمه الله: «وإذا كان بعض المغفلين يزعم أن تقبيل الحجر الأسود نوع من الوثنية فليكن تقبيل الملوك والرؤساء لأعلام دولهم نوعاً أيضاً من الوثنية ومن عبادة الأقمشة! من قال هذا؟ إذا كان الأمر لا يعدو ترجمة لمشاعر الولاء لله فليس في هذا شيء، ونحن في هذا نلتزم ما ورد.

ومن حق رب البيت أن يضع طريقاً لزيارة بيته، فإذا جعلها طوافاً من سبعة أشواط فليس في الأمر ما يستغرب، ففي طول الدنيا وعرضها توضع طرائق شتى للاستقبالات والاستعراضات»[1].

وفي هذا اختبار للعباد في مدى طاعتهم لله؛ فقد كلفهم بما يعقلون سره ويدركون مقصده، فها هو يبتليهم بما لا يعقلون أو يدركون أسراره، فهل يطيعون أم يتمردون؟

إن تحقيق الطاعة لله والانقياد لأمره لهو من أبرز مقاصد الحج، ويتجلى ذلك في شعائر ربما تبدو غير معقولة كما سبق القول، مثل تقبيل الحجر، أو السعي بين الصفا والمروة، أو الطواف بالبيت، أو غير ذلك من شعائر، لكن لا شك أن لكل هذه الأعمال حكمها ومقاصدها التي علمها من علمها وجهلها من جهلها، ويجمعها كلها تحقيق العبودية لله والسمع والطاعة لما يأمر به عباده ابتلاء لهم واختباراً.

أيُّ مشاعر تلك التي تسكبها هذه الفريضة في نفس المؤمن، وأي مدى ذاك الذي يبلغ إليه إخلاص العبد وتوحيده لربه وتجديد إيمانه به، وكل شعيرة من شعائر الحج فيها ذكر وتهليل وتوحيد، وتلبية وإخلاص وتمجيد؟ أي حالة تصبح عليها نفسه من الشفافية والنقاء والصفاء لا سيما وقد رجع من حجه كيوم ولدته أمه كما أخبر الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم؟ فالحج بهذه الصورة وتلك الأعمال يجدد الإيمان، ويحقق التوحيد، ويظهر فيه كمال صدق العبد في العبودية المطلقة لله تعالى.

كل شعيرة من شعائر الحج فيها ذكر وتهليل وتوحيد وتلبية وإخلاص وتمجيد

وحدة الأمة من مقاصد الحج الكبرى فالكل يعبد رباً واحداً ويلبي نداءً واحداً

من المقاصد التاريخية للحج أن المسلم يرى بعينيه الأماكن التي قرأ عنها في السيرة

مقاصد اجتماعية وإنسانية:

ومن مقاصد الحج مقاصد إنسانية واجتماعية؛ فوحدة الأمة وتوحيدها مقصد عظيم من مقاصد الحج بل من مقاصد الإسلام الكبرى، ويُستمد هذا المقصد الاجتماعي والإنساني من «توحيديات» الحج، فالكل – كما نحفظ – يعبد رباً واحداً، وقبلتهم واحدة، وكتابهم واحد، ورسولهم واحد، وحُداؤهم واحد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، ومن هنا تتجلى وحدة الأمة وقوتها؛ فالحج من الشعائر التي تحفظ للأمة الحد الأدنى من الوحدة والتماسك.

ومن المقاصد الإنسانية تحقيق معنى المساواة؛ فالغني والفقير، والرئيس والمرؤوس، والأمير والخفير، والملك والمملوك، الكل يرتدي لباساً واحداً لا خيط فيه، ولا ألوان مختلفة له، فالكل يرتدي رداء واحداً لونه واحد هو اللون الأبيض، فلا يعرف فيهم عظيم من حقير ولا رئيس من مرؤوس، الكل أمام الله سواسية، ومن ثم تتراجع هنا كل الموازين والمعايير، ولا يبقى إلا مقياس واحد ومعيار واحد: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

ومن هنا شاء النبي صلى الله عليه وسلم أن يذكر الجموع الحاشدة من المسلمين الذين تبعوه يوم الحج الأكبر، حجة

الـوداع، فعن أبـي نضـرة قـال: حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسـط أيـام التشريق فقال: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحـد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي عـلـى عـربـي ولا لأحـمـر على أسـود ولا أسـود على أحمر إلا بالتقوى»[٢].

ونحن نحفظ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات).

مقاصد سياسية وتاريخية:

ومن مقاصد الحج مقاصد تـاريـخـيـة وسـيـاسـيـة، فـمن المقاصد التاريخية أن المسلم يـرى بعينيه الأمـاكـن الـتـي قرأ عنها في السيرة والتاريخ، فهذا طريق الهجرة بصعوبته وخشونته وطـولـه، وهـنـا عُـذّب فـلان من الصحابة، وهناك استشهد فلان، وهنا كانوا يصلون، وهنالك كانوا يجتمعون، وهنا قاتلوا وهناك قتلوا، وهنا وقف إبراهيم يدعو ربه، وفي هذا المكان كان يبني البيت ويرفع منه القواعد، وفي هـذا الـمـوضـع كـان مـعـه ابنه إسماعيل، وهنا هرولت هاجر وسعت بين الصفا والمروة، وهذه هي زمـزم التي فجرها الله لها برحمته.. وهكذا.

ومـن شـأن هـذه الـرؤيـة أن تعمق معاني الإيمـان بالرسالة الإسـلامـيـة فـي نـفـس الـمؤمن فـيـحـمـلـه ذلـك عـلـى الـدعـوة للإسلام والتضحية له والصبر

من أجـلـه، وهـذا من المقاصد العظيمة التي يتغياها الحج في الإسلام.

ويجتمع المسلمون في هذا الموسم الهائل الذي يأتي فيه الـمـسـلـمـون مـن كـل فـج عميق مـن مـشـرق الأرض ومـغـربـهـا؛ ليناقشوا مـا أهـمـهـم مـن أمـر دينـهـم ودنـيـاهـم، فـالـحـج من الناحية الروحية تجديد للإيمان وتحقيق للتوحيد وتهذيب للنفس، ومن الناحية السياسية فرصة عظيمة للتوجيهات والتوصيات الجامعة للأمة، وملتقى جامع يكفل ما فيه مصلحة الإسـلام والمسلمين.

يقول الشيخ محمد الغزالي يرحمه الله: ولكي نـدرك ذلك نـدرس كيف حج المسلمون في السنة التاسعة والسنة العاشرة للهجرة، ففي السنة التاسعة رجع الحجاج وقد تلقوا تعليمات بقطع علاقاتهم مـع العابثين بمعاهداتهم ومعاملتهم بالشدة بعدما فشل اللطف معهم، وفي السنة العاشرة وضعت تقاليد إنسانية وآداب عامة تضمنتها الخطبة الجليلة الـتـي ألقاها الـرسـول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع[٣].

واقـتـداء بما فعله الرسول وخلفاؤه لا يمكن إهمال الجانب الـسـيـاسـي مـن الـحـج أبـدا؛ إذ مـا يصنع الـحـجـيـج بعدما يعودون إلى بلاد اعتدى عليها المجرمون واستباحوا حرماتها؟! أو عـنـدمـا يـعـودون إلـى بـلاد كثرت فيها الفتن وماج خلالها المستضعفون؟!

نـعـم، لا يـجـوز أن تـتـرك هذه الحشود الهائلة يوم الحج الأكبر دون توجيه جامع تلقى به خصومها، صحيح أنهم في محاريب ذكر، وساحات تسبيح وتحميد، وأوقـات تبتل إلى الله ونشدان لرضاه، لكن من قال: إن كسر الـعـدو ليس عـبـادة؟! والـسـهـر عـلـى هزيمتهم ليس تـهـجـداً؟! إن صيحة الله أكبر تُفتتح بها الـصـلاة لينأى بها المؤمنون عـن مشاغل الدنيا، ويفتتح بها الجهاد لتكون كلمة الله هـي العليا، ولتجف دموع البائسين وآلام المستضعفين، ومن هنا نفهم قول الله سبحانه للمحتشدين في عرفات، ولمن وراءهـم من جماهير المؤمنين في كل مكان: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

(التوبة)، فالحج عبادة تقيمها قلوب ساجدة وأيدٍ مجاهدة[٤].

ثم يهيب الشيخ بأمته قائلاً: يا قومنا، إن الحج ليس لقاء أجساد، ولا شراء هدايا، ولا حمل ألقاب، اجعلوا الموسم الجامع فرصة إعداد، وموطن دراسة علمية وعملية، ورسم خطة لإنقاذ أنفسكم من طوفان مقبل[٥]، إن ناساً يذهبون إلى الحج الآن ثم يعودون مكتفين بأن حملوا لقباً، هل درست قضاياهم؟ لا، هل عادوا من موسم الحج بتحالف على محاربة الفساد الداخلي والغزو الخارجي؟ لا.. إن الحج ليس عبادة فردية، لا في ديننا ولا في تاريخنا، فيجب أن نعلم ديننا، وكفانا جهلاً حتى لا نستيقظ على الويل والثبور وعظائم الأمور[٦].

مقاصد دنيوية وأخروية:

وقد أطلق الله تعالى شهود المنافع فلم يقيدها بدنيا ولا أخرى، حين قال: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾) (الحج).

فربما كانت المنافع مادية أو اجتماعية وهذا في الدنيا، وقد جاءت كلمة «منافع» نكرة لتفيد العموم والشمول؛ فالحج يتيح الفرصة أمام جموع المسلمين لممارسة أنواع النشاطات وأصناف الصفقات التجارية والمالية والاقتصادية، وقد ذكرت كتب التفسير أن بعض المسلمين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم تحرجوا من ممارسة التجارة والبيع والشراء حال الحج، فأنزل الله تعالى قوله: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ) (البقرة: ١٩٨)، فاستبشروا بهذا التيسير الإلهي لهم؛ فباعوا واشتروا وتاجروا.

الغزالي: الحج ليس لقاء أجساد ولا شراء هدايا ولا حمل ألقاب لكنه فرصة إعداد وموطن دراسة ورسم خطة

الحج يتيح الفرصة أمام المسلمين لممارسة أنواع النشاطات والصفقات التجارية

لو أدرك المسلم أن نفس أخيه المسلم أشد حرمة عند الله من الكعبة لما أقدم على التزاحم عليها

وربما كانت روحية إيمانية وهذه تعود ثمرتها للآخرة، فقد جعله الله تعالى فرصة لتكفير السيئات، وسبباً لمحو الذنوب، وطريقاً لرفعة الدرجات، وأعظم ما يصور هذا الأمر ما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟!»، قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: «تشترط بماذا؟»، قلت: أن يغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»[٧]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[٨].

المقاصد الكلية:

وهذه المقاصد ليست مقاصد تؤخذ عن الحج مباشرة إنما تحمل مراعاتُها المسلمَ على أن يراعي المقاصد السابقة ويحقق ما أمر الله به في هذه الفريضة، ويفوز برضا الله ومغفرته.

أعني بذلك المقاصد الكلية أو بعض الكليات التي تحدث عنها علماء المقاصد، ومن ذلك حفظ النفس، فلو أدرك المسلم أن نفس أخيه المسلم أشد حرمة عند الله من الكعبة لما أقدم على التزاحم الذي يفضي إلى إزهاق عشرات الأرواح، ولما رأينا الدماء التي حرمها الله وشدد عليها تسيل في كل موسم من مواسم الحج.

ومنه أيضاً حفظ الدين والمال، فلو أدرك المسلم أن هذا من المحرمات القاطعة التي أجمعت عليها الشرائع لما تلفظ بألفاظ ربما تخرجه من الملة وهو يؤدي شعيرة من أعظم الشرائع، ولاجتنب كل التصرفات المسيئة إلى قدسية الحج ومكانته ومكانه وزمانه، وابتعد عن الممارسات التي تؤذي المسلمين وتسبب لهم الضرر، وحافظ على المرافق العامة والخاصة وراعى نظافة المكان وقدسيته.

لو أدرك المسلم هذه المقاصد وتلك الحكم والأسرار الإيمانية والاجتماعية والتاريخية والسياسية والإنسانية؛ لأدى العبادة على الوجه المطلوب الذي يبرئ به ذمته، ويرضي به ربه، ويريح به ضميره، ويرحم به إخوانه المسلمين، ولحصل من الأجر والثواب، وحقق به الرضا الأعلى في الدنيا والآخرة.■

الهوامش

(١) انظر خطب الغزالي: ٣/ ١٢١. طبعة دار الاعتصام، ومائة سؤال عن الإسلام: ٨٣. دار ثابت. القاهرة. ط الخامسة. ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٢) أورده أحمد في المسند: مسند الأنصار رضي الله عنهم. حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه، ورجال البزار رجال الصحيح.

(٣) مائة سؤال: ٨٥-٨٦، وانظر الحق المر: ٩٢-٩٣. مكتبة التراث، والخطب: ١/٢٣٨-٢٤٠، و٣/١٢٤-١٢٦.

(٤) علل وأدوية: ١٥٦-١٥٨.

(٥) الحق المر: ٩٣. مكتبة التراث.

(٦) الخطب: ٣/١٢٨.

(٧) صحيح مسلم: كتاب الإيمان. باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.

(٨) صحيح البخاري: كتاب الحج. باب فضل الحج المبرور.

وسائل دعوية لاستثمار الحج

الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، ويمثل بما شرعه الله لنا، محطة من محطات العبودية لله تبارك وتعالى، العبودية بكل أجنحتها، وسائر تكاليفها، وجميع شعبها، ففيه الطواف بالبيت خشوعاً لله وخضوعاً له، وفيه الانكسار بين يدي الله تعالى، وفيه ترغيم الشيطان، وكسر أنفه، بمعصية المسلم له، مع الاستسلام لله تبارك وتعالى، وفيه الذبح لله تعالى، وحده لا شريك له، مع نفي عبادة من سواه، فيه السجود لله، فلا ركوع ولا سجود إلا له، فيكون المرء المسلم بهذا قريباً من الله تعالى، متحققاً بمعاني الربانية، التي تجعله ولياً لله تعالى، من الذين آمنوا وكانوا يتقون.

بقلم: د. عامر البوسلامة

الحج مدرسة بناء متكامل الجوانب يعمل على صناعة الأمة على منهج العبودية

فالحج، مدرسة بناء متكامل الجوانب، يعمل على صناعة الأمة، على منهج العبودية، ووحدة الصف واجتماع الكلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سُئِل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل

لا بد من استثمار هذا الموسم المبارك، موسم الحج، من قبل العلماء والدعاة، ويحولون هذا الموسم إلى فرصة في مجال الخير، وتعميم النفع، وحتى تتحقق مقاصد الحج، فيما شرعه الله تبارك وتعالى، وهنا يبرز دور العلماء، وأثر الدعاة، من خلال انعكاس

حلوا وارتحلوا، بحيث نحقق المعنى المراد؛ علماً وفقهاً وسلوكاً، عقيدة وشريعة، ومنهاج حياة، فيرجع المرء بعد الحج كيوم ولدته أمه، خالصاً طيباً، والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة في هذا الشأن: كيف يكون هذا الأمر؟ وبأي وسيلة نصنع حالة الفضيلة والاستقامة على دروب الخير، ومسارات البناء الصحيح، ونحن نستقبل هذه الأيام الفاضلة من أيام الله؟ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه» (متفق عليه).

وببساطة يمكن تقسيم الوسائل إلى قسمين:

القسم الأول: من بداية الموسم والناس في بلدانها؛ حيث على الدعاة والعلماء أن يجعلوا الناس يعيشون الجو العام لهذه النفحة الربانية التي تهب على الأمة كل عام، ويحثونهم على الحج إلى بيت الله الحرام، ويبينون للمسلمين حكم الحج، خصوصاً في إطار الفريضة التي تلزم المسلم بشرائط معروفة عند العلماء، ما بين متفق عليه، ومختلف فيه، كما عليهم – أي العلماء والدعاة – أن يستثمروا هذه الأيام المباركة في دعوة الناس إلى الله عز وجل بتذكيرهم بمقاصد الحج، واستنباط الدروس والعظات والعبر والفوائد المستفادة، من هذا الحج، حتى تكون لهم دليل سلامة، ومنارات كرامة، على طريق الحياة، ويكون ذلك من

على الدعاة أن يجعلوا الناس يعيشون جو النفحة الربانية للحج التي تهب كل عام

يمكن الاستعانة بالمجسمات لتقريب مناسك الحج

خلال خطب الجمعة، والدروس العامة، والمحاضرات، والخواطر، والتغريدات، والمقالات، والنشرات، والكتب، والتسجيلات، والمقاطع النافعات، ولا ننسى وسائل الإعلام وأثرها واستثمارها في هذا العمل النبيل، من إذاعة وتلفزة، ووسائل تواصل اجتماعي، وصحف وجرائد.

ويا لها من مناسبة عظيمة، لو وجد من يستغلها في طاعة الله تعالى، وبيان حقيقة هذا الركن العظيم من أركان الإسلام، فالناس يحتاجون إلى من يرشدهم، وإلى من ينصحهم، وإلى من يشرح لهم تعاليم الإسلام، وإلى من يدلهم على المنهج الحق، في زمن كثر فيه الجهل، وانتشر علماء السوء، الذين يصفقون لمن هبّ ودبّ، مع هجمة شرسة على الإسلام والمسلمين، تعم ربوع

الدنيا، وساحات العالمين.

وفي المجال الخاص؛ لا بد من التركيز على الذين سجلوا للذهاب إلى الحج، وذلك ببرنامج عمل يجمعون عليه، وتقام لهم دورات بلغة حديثة، وتوخي العرض الشائق الجذاب، على مستوى رواد المسجد، وكذا على مستوى الحارة أو المحلة أو القرية، بحيث نصل لكل من عزم عزمته لحج بيت الله، لتعليمهم الفقه التفصيلي الذي يحتاجون إليه في رحلة كهذه الرحلة، وزاد العلم لا يقل أهمية عن الزاد والراحلة التي يحتاجها الحاج، وشرطها العلماء لوجوب الحج على الفرد المسلم، وفي هذه الدروس لا بد من تعليمهم فقه الحج، بأسلوب ميسر، وفقه مبسط، ولو درسوهم كتيباً صغيراً في هذا الباب، يعد إعداداً جيداً، ليحملوه معهم فيكون ذلك أطيب وأجود.

والنظري يختلف عن العملي، وحتى تتجلى الصورة بشكل واضح، تعجبني هنا فكرة المجسمات للمناسك، التي يصنعها بعض الإخوة للشرح والبيان، كي يعيش الذاهب للحج بجو الحج، وهنا تبرز براعة العارض، في إحداث هذه الحالة، كما أن استخدام برامج «البوربيوينت» والعرض الجديد يساعد كثيراً في هذا المجال الرحب الفسيح، الجميل الرائع.

وهنا لا بد لمن أراد قصد بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج، من تذكيرهم بضرورة الإخلاص لله تعالى، وأنه عليه أن يحرر نيته، حتى تكون خالصة لوجه الله تعالى، فلا يذهب للحج، ليقال له يا حاج، ولا ليرائي الناس بهذا ويفاخر به، ولا يبحث في حجه هذا، تحصيل سمعة يبحث عنها، من هنا قالوا: كم من ساجد أمام الكعبة، وهو يرائي أهل خراسان «إنما الأعمال بالنيات».

كما عليهم أن يذكروهم بضرورة التوبة النصوح، بشرائطها الشرعية، والإقبال الصافي، والتحلل من حقوق العباد، وطلب السماح منهم، ويستقبل كل ذلك من خلال فتح صفحة جديدة، استعداداً لميلاد جديد، مليء بالهمة العالية، والإقبال الفسيح في طاعة الله تعالى.

القسم الثاني: عندما تبدأ رحلة الحج، حتى العودة؛ وهذا يحتاج إلى انتداب دعاة يرافقون الناس، في مواسم كهذه، وضروري أن يكونوا على المستوى المطلوب علماً وفقهاً، كذلك والأهم من ذلك أن يكونوا قدوة للناس، في أقوالهم وأفعالهم، حتى يعطوا صورة حسنة لداعية القدوة، فالناس يرقبون الداعية بعين نافذة ناقدة مراقبة كل شيء، والتأثير في عالم القدوة، لا ينكره إلا من فقد الرشد الحركي، من هنا قالوا: حال رجل في ألف رجل، خير من قال ألف رجل لرجل.

ومن الأشياء التي ينبغي التركيز عليها، إشاعة روح الأخوة بين الحجيج، ونشر قيم الحب فيما بينهم، مع الوصية بالصبر على ما يبدر من بعض المرافقين، وكذلك إرشادهم إلى آثارها ونواتجها، ومنها ضبط الأمور حتى لا يختلف الحجيج، ويقعون في الجدال المر، والخصام المرير؛ لذا لزم تحويل هذه الرحلة الربانية إلى محضن تربوي يعود الناس وقد ازدادوا ألفة ومحبة وأخوة، لا كما نرى بعضهم، إذ يذهبون إخوة متحابين، ويعودون وقد نزغ الشيطان بينهم، فلا يكلم بعضهم بعضاً، ولا يسلم الواحد منهم على أخيه، وهذه مشكلة تحتاج إلى حذر وانتباه.

كما أن الانضباط بالتعاليم يساعد كثيراً على سلاسة الرحلة، وتخفيف حدة المعاناة، وذلك من خلال التربية والتوجيه، وبث روح التذكير بالهدف الذي من أجله قدم المسلم إلى هذه الديار، فرب مخالفة أدت إلى كارثة.

من القضايا المهمة التي تظهر فيها حكمة الداعية أن يعمل على التجميع، وأن يحذر الفرقة، وذلك باجتناب كل ما يؤدي إلى هذا، مع التركيز الدقيق على المتفق عليه والإعذار في المختلف فيه.

في هذا الموسم المبارك يأتي إلى هذه البقعة ملايين المسلمين من أصقاع الدنيا، وهنا تكون الفرصة سانحة في أن يتعرف المرء على من يلقاه من إخوانه، فأساس دعوتنا الحب والتعارف، كما أنها فرصة للتعرف إلى أحوال المسلمين، خصوصاً منها تلك المناطق الملتهبة الساخنة، كالذي يجري لإخواننا في سورية (مأساة العصر) وما يجري في اليمن، وبورما، وغيرها من بلاد المسلمين، وهذه فرصة مهمة لشرح قضايانا، وبيان حاجاتنا، وتوضيح المطلوب من الأمة، تجاه هذا الذي يجري، ففي مؤتمر كبير كهذا ينبغي أن يكون سبيل دعم لقضايا الأمة، ونشر أخبار ما يجري للمسلمين، وما يحل بديارهم، هذا تطلب منه الدعاء، وذاك تذكّره بما يجب أن يقوم به تجاه إخوانه من اللاجئين والنازحين، وآخر تلفت نظره إلى ضرورة التعريف بهذه الحقائق لمن يلقاه من إخوانه، ويكون سفير خير لقضايا الأمة لما يعود إلى بلده، قائماً على التفكير الفردي والجماعي، بمشاريع إغاثية أو تعليمية أو غير ذلك، من الذي يحتاجه هذا البلد أو ذاك.

وأساس وسائل الداعية الحكمة في العرض، والموعظة الحسنة في البيان، والرفق الذي ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.■

ينبغي إشاعة روح الأخوة بين الحجيج ونشر الحب والصبر على المرافقين

الحج فرصة للتعرف إلى أحوال المسلمين خصوصاً المناطق الملتهبة

الحج.. وحدة الهدف والغاية

أ.د. زيد بن محمد الرماني
أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود

إن العمل العظيم في مغزاه ليصغر إذا جهل الناس هدفه ومرماه، وكذلك هذا الحج أقام الله به دعائم الصلاح والقوة في الحياة، ولكن وللأسف فقد أصبح عند بعض المسلمين عبادة آلية عادية يؤدونها وخيرهم من يرجو بها المثوبة والأجر، أما ما وراء ذلك من منافع مادية وروحية واجتماعية فإنهم لا يطيلون فيها التفكير، ولا ينظرون إليها نظرة الفاحص الخبير!

وإذا كان الإحرام والتجرد من الثياب المخيطة هو رمز المساواة بين المسلمين جميعاً أمام خالقهم؛ فلا تفاضل أو تميز بجاه أو مال أو ثياب، ولا بلون أو جنس أو لسان، بل الكل عباد وهم أمام الواحد القهار سواء، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بتقوى الله والعمل الصالح.

وإذا كان الطواف حول الكعبة المشرفة واتجاه المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها إليها في كل صلاة، هو رمز لوحدة الهدف والغاية، وهي عبادة الله والفوز برضوانه.

وإذا كان رمي الجمار تمثيلاً رائعاً لطاعة الرحمن وعبادته، ورجماً للشيطان ومخالفته، والدفاع عن الحق ومواجهة الباطل وإنكاره.

وإذا كان النحر تحقيقاً للإخاء والتعاون والتكافل بين المسلمين بإطعام الفقراء والمساكين في يوم العيد.

إذا كانت كل هذه المناسك والشعائر هي رموز لهذه المقاصد السامية والغايات الشريفة والمبادئ الكريمة، فإن أروع ما في الحج من مقاصد وأهداف وغايات، هو تجسيد معنى أن المسلمين - على اختلاف شعوبهم وألوانهم وجنسياتهم - هم «أمة واحدة» و«وطن واحد»، وهذا يتجلى بأروع مظهر يوم الوقوف بعرفة.

هناك على عرفات، ترى الشعوب الإسلامية - على اختلاف ديارها وتباعد أقطارها واختلاف ألوانها وألسنتها وأزيائها - قد انصهرت في بوتقة الإسلام، هنا يتجلى ويتجسد معنى أن المسلمين «أمة واحدة»، وأن «الإسلام وطن وجنسية»! وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ (الأنبياء).

فالمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها أمة واحدة، يعبدون رباً واحداً، ويتبعون رسولاً ونبياً واحداً، ويحكمون دستوراً وقرآناً واحداً، ويعيشون على رقعة من الأرض، إن اتسعت وامتدت من المحيط إلى المحيط، إلا أنها وطن واحد.

تُرى هل فقه الحجاج الواقفون على عرفات هذا المعنى؟ وهل أدركه المسلمون من غير الحجاج - وقد سُنّ لهم أن يصوموا يوم عرفة - ليتصلوا بقلوبهم وأرواحهم بإخوانهم الحجاج؟

وهل يسعى الجميع ليحققوا هذا الهدف النبيل والغاية السامية من مقاصد الحج؟■

أذان.. وبلاغ.. وتلبية

إيمان مغازي الشرقاوي

سبَح بفكره وسرح بخياله إلى عالم يسيح فيه بجسده وروحه دون أن تشغله الدنيا بزينتها وزخرفها، يسير فيه مستقيماً لا يلتفت إلى قطّاع الطريق المتربصين به المنتظرين منه التفاتة إلى الوراء حيث هم دائماً يثبّطون ويسحبون ويقهقرون، لكنه لم يلتفت لذلك ومضى في طريقه طالباً من الله العون والسداد والقبول والثبات.

لقد كانت روحه دوماً ترتجف بمجرد رؤية ذلك القماش الأبيض الذي يذكره بالموت والموتى ويأخذه إلى عالم الموت والفناء! فما باله اليوم به مستبشر، يمسك به وهو فرح مسرور، قد علا البشر محياه واستضاء وجهه واستنار كأنه فلقة قمر!

إنه في طريقه للاستعداد لرحلة عظيمة يقدم عليها راضي النفس، فلطالما دعا ربه أن ييسرها له، وما زال إلى تلك اللحظة يضع القرش على القرش والدرهم مع الدرهم والدينار فوق الدينار ليجمع نفقات تلك الرحلة التي لا نظير لها في عالم السياحة، ولا مثل لها في المتنزهات والحدائق والمنتجعات، ولمَ لا تكون عظيمة وقد أمر الله نبيه إبراهيم عليه السلام أن ينادي في الناس داعياً إياهم للذهاب إليها فقال له: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾(الحج)، فأجاب إبراهيم وأذّن في الناس مبلغاً: «يا أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك» (تفسير ابن كثير)؟

إن مجرد التفكير في ذلك يملؤه بالشوق والحنين ويدفعه للدعاء الصادق حتى يكون من أصحاب تلك الرحلة الربانية التي تطهر فيها روحه، وتحيا بها نفسه، ويكون ضيفاً عليه سبحانه، وهو الرحيم الرحمن، الكريم المنان، فيا له من شوق عجيب تُشد من أجله الرحال.

وأعظِم بها من رحلة وأكرِم بها من ضيافة! وما أكرَم المُضيف سبحانه وتعالى! وما أحوج الضيف الفقير إلى ذلك الكرم!

الاستعداد للرحلة

اقترب موعد رحلته، وهو يفكر الآن كيف سيقبل على ربه وبأي حال يدخل بيته، كانت السيجارة في يده يتصاعد منها الدخان ويتراقص، لكن أتراه يذهب إليه ورائحة الدخان الخبيث تملأ فمه وتفوح؟! فطن إلى نفسه وتعجب منها ونوى أن يقلع الآن عن التدخين، ويتوب إلى الله من هذا الذنب وغيره من الذنوب الظاهرة والخفية، وتذكر قول التابعي الجليل محمد بن واسع: «لو كان للذنوب رائحة ما قدر على مجالستي أحد»، فاستحيا من نفسه وأيقن أنه مذنب ولا ريب، وإن بدا للناس غير ذلك، وأن نظافة الفم تتطلب نظافة اللسان الذي يقطن فيه، وأن طهارة الظاهر تكتمل بطهارة الباطن، فعزم على أن يحفظ لسانه وقلبه من اللغو والغيبة

والنميمة وغيرها من الآفات، وما أكثرها في هذه الأيام مع انتشار المساحات الواسعة في صفحات التواصل الاجتماعي والتي لا يسلم فيها المرء من الأذى أو الإيذاء.

لقد بدأ في الاستعداد العملي لهذه الرحلة المباركة التي بدت تباشير بركتها تلوح في نفسه وتشرق في ذهنه، لاح أمامه طيف والديه وإخوته، وزوجته وأولاده، فقرر أن يزيدهم من جرعات برّه وحبه، وشعر بقيمة الأسرة حين تكون متحابة متفاهمة، تتعبد الله بهذه الأخلاق.

نحو التغيير

أخذ يفكر بجدّية وصدق، هل هو هذا الضيف الذي يليق بحاله أن يلبي نداء ربه مقتدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أهَلّ في حجه بالتوحيد قائلاً: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» (رواه مسلم)، لم يتمالك نفسه ولم يستطع أن يمسك لسانه إذ رفع صوته بالتلبية ودموعه تسيل على خديه وقد سرت قشعريرة في جسده مع كل حرف من حروف التلبية، فتأكد أنها رسالة من الله تعالى له ولكل حاج، فخرّ ساجداً وكأنه لأول مرة يدرك معناها ويستشعر مغزاها.

أخذ يتأمل بعين التفكر والعبرة كل كلمة من كلمات التلبية، فوجد فيها عز الدنيا والآخرة، وأيقن أنه إنْ يأخذ بها ويعمل فستكون السعادة حظه ونصيبه في الدارين برحمة الله تعالى، اهتز قلبه ودمعت عينه ولسان حاله يقول: ها أنا يا الله سأجيب نداءك إجابة لك من بعد إجابة، ساعياً لرضاك خاضعاً ذليلاً.. ها أنذا سأقيم على طاعتك وألازمها متوجهاً إليك بما تحب، حباً لك بعد حب، قد أخلصت لُبّي وقلبي لك، اللهم إني منشرح الصدر متسع القلب لقبول دعوتك وإجابتها، فلبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.. تذكّر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يلبي إلا لبى ما عن يمينه وعن شماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا» (رواه الترمذي)؛ يعني عن يمينه وشماله؛ فاستبشر وزاد من تلبيته.

التلبية دروس وعبر

إن هذه التلبية بكلماتها المعدودة قاموس تربوي عجيب إذا ما فهمها الحاج ووعاها وصدّق بها، ففيها الإقرار من العبد بالفرار إلى الله تعالى وذلك بتوحيده وإجابة أمره، والقصد والتوجه له دون غيره، فلا رياء ولا شهرة ولا ظهور ولا سمعة منذ أول لحظة ينوي فيها العبد أداء هذا النسك العظيم؛ فلبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، قاصداً إياك في نسكي مخلصاً لك عبادتي، والإخلاص عمل قلبي بين العبد وربه لا يطلع عليه أحد إلا الله.

وقد شبه ابن القيم الإخلاص والتوحيد بشجرة في القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة، وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك، أما الشرك والكذب والرياء فشجرة في القلب ثمرها في الدنيا الخوف والهمّ والغم وضيق الصدر، وثمرها في الآخرة الزقّوم والعذاب المقيم. (انظر: الفوائد لابن القيم)، فعقد العزم على أن يلازم الإخلاص لله في كل أعماله وأقواله.

التفكير في الحج يملأ بالشوق والحنين ويدفع للدعاء الصادق ليكون من أصحاب تلك الرحلة الربانية

التلبية بكلماتها المعدودة قاموس تربوي عجيب إذا ما فهمها الحاج وصدّق بها

ها أنا يا الله سأجيب نداءك على الدوام ساعياً لرضاك خاضعاً ذليلاً

الحمد والنعمة لك والملك

لهج لسانه بحمد الله، الحمد لله قبل أن ألبي، والحمد لله وأنا ألبي، والحمد لله بعد التلبية، والحمد لله في كل حين وحال، والحامدون في الآخرة هم أهل الفوز والفلاح، قال الثوري: «ليس يضاعف من الكلام مثل الحمد، والحمد يتضمن إثبات جميع أنواع الكمال لله فيدخل فيه التوحيد». (جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي).

وكيف لا أحمد ربي وقد أنعم عليّ بكل ما أنا فيه من رزق ونعمة وعافية وأهل وزوجة وولد، قد أمدّ في عمري ورزقني وممّن عليّ بأعظم نعمة؛ نعمة الهداية إليه، وهداني لأن ألبي نداءه فأزور بيته لأداء فريضة الحج؟! فيا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

إنني بكل ما أملك من نعم، وإن كل نعمة من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض بمن عليها لهي من عند الله المنعم الكريم، فله الحمد والشكر، فما أجلّ نعمه وما أعظم ملكه! يعطي فلا ينقص من خزائن ملكه شيء.

تاقت نفسه للتلبية الحقيقية بعد أن أدرك أنها قول وعمل، وتسليم وخضوع، وطاعة وإجابة، وقرب وحب، وإخلاص ونقاء، فقام لتوّه يستعد لها.

ولم يسافر إلى ربه إلا وقد غسل قلبه بالتوبة، ونقّاه من الغل والحسد، ونفض منه الشحناء والبغضاء، وطهر نفسه من المظالم فردها إلى أصحابها وطلب عفوهم والسماح منهم، وتاقت نفسه للإحسان فتصدق على مسكين، وأطعم أرملة، وأحسن إلى يتيم ومسح على رأسه، حتى يلين قلبه ويدرك حاجته من الرحمة والمغفرة والعتق والقبول، ليرجع بحج مبرور.

وهنا شعر بدفء عجيب يسري بين أوصاله وكأنه يقول له: هكذا فليكن حجاج بيت الله!■

«النسيء» والحاجة إلى ضبط التاريخ

د. محمد أحمد عزب

للتاريخ وتدوين الحوادث أهمية كبرى في حياة الأفراد والأمم قاطبة، وتشير آيات القرآن إلى أهمية التاريخ وضرورته في حياة الأمم قال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) (يونس: ٥)، وتستلهم الأمم والمجتمعات المثل العليا والتجارب الناجحة أحياناً من خلال التاريخ.

للتاريخ والتأريخ دور مهم في عملية الإثبات والنفي، وتحديد الوقت وصحته أحد أركان الضبط، فقد تسقط قضايا برمتها تتعلق بمصائر أمم حين يكون تزوير التاريخ سبيلاً للادعاء.

العرب والكبس في التاريخ:

عرف العرب قديماً التاريخ، وكانت الشهور القمرية هي أساس الضبط عندهم، كانت حاجتهم للضبط تنبع من توارثهم شعائر يعظمونها لها مواقيت محددة؛ كالحج، والأشهر الحرم، إلا أن العرب قد استولت عليهم الأهواء وسقطوا في هوة تبديل التاريخ ونقله عن وضعه لهوى داخل نفوسهم.

حين فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة في العام الثامن، لم يذهب ليحجّ في العام التالي، بل حج في العام العاشر للهجرة، وفي خطبته بمنى قال: «إنّ الزّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِه يَوْمَ خَلَقَ اللّه السّمَاوَات وَالأَرْضَ»[1]، إذاً وقع حجُّ العام التاسع في غير موضعه من الزمن، فلم يصادف وضع الزمن في دورتي القمر والشمس معاً؛ نظراً لما أحدثه العرب في عملية التأريخ من النسيء الذي ذمه الله تعالى، وهذا النسيء بينه السهيلي (٥٨١هـ) بقوله: النسيء على ضربين؛ ما ذكره ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر، لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات.

والثاني: تأخيرهم الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية، فكانوا يؤخرونه في كل عام أحد عشر يوماً، أو أكثر قليلاً، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة، فيعود إلى وقته، ولذلك قال عليه السلام في حجة الوداع: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض»، وكانت حجة الوداع في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته ولم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة؛ وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته، ولطوافهم بالبيت عراة[2].

تثبيت الشهور القمرية عند العرب وغرضه: يتعرض البيروني

«النسيء» ضربان أحدهما تأخير شهر المحرم لشن الحروب والآخر تأخير الحج تحرياً للسنة الشمسية

(٤٤٠هـ) لأحد أسباب تبديل العرب للتقويم، ومحاولتهم جعل القمري موافقاً للشمسي، فجمعوا إلى النسيء مذمة أخرى وهي الكبس، يقول: «كان يدور حجُّهم في الأزمنة الأربعة، ثم أرادوا أن يحجوا في وقت إدراك سلعهم من الأدم والجلود والثمار وغير ذلك، وأن يثبت ذلك على حالة واحدة، وفي أطيب الأزمنة وأخصبها، فتعلموا الكبس من اليهود المجاورين لهم»[٣].

فإذا علمنا أن حجة الوداع قد صادفت أوائل فصل الربيع من السنة الشمسية في أوائل مارس، علمنا أن العرب قصدوا بالكبس زمناً معيناً للحج، أرادوا به أن يثبت الحج في فصل واحد من فصول السنة الشمسية يصادف نضجاً في الثمار ليتمكنوا من التجارة والربح، والذهاب والإياب في اعتدال الحرارة، وقد ذمهم الله على تبديلهم ذاك وعابه عليهم.

ابتداء التأريخ في الدولة العمرية:

حين دعت الحاجة المسلمين إلى وضع نظام ضابط للتاريخ، وكان هذا في زمن الفاروق عمر رضي الله عنه، لم ينفرد عمر بالقرار ليضع المسلمين على طول الدهر أسرى لقرار يأخذه بنفسه دون استشارة، يقول العيني (٨٥٥هـ): «قال ابن عباس: لما عزم عمر على التأريخ جمع الصحابة فاستشارهم، فقال سعد بن أبي وقاص: أرّخ لوفاة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقال طلحة: أرّخ لمبعثه، وقال علي بن أبي طالب: أرّخ لهجرته فإنها فرقت بين الحق والباطل، وقال آخرون: لمولده، وقال قوم: لنبوته.. واتفقوا على قول علي، رضي الله تعالى عنه»[٤].

إذاً اتفق الصحابة على مناسبة لها تعلق بالدعوة لا بشخص القائم بها صلى الله عليه وسلم، فلا وافقوا على التأريخ بمولده ولا بوفاته ولا ببعثته صلى الله عليه وسلم، بل بما صار فيه للدعوة فرقاناً بينها وبين الرافضين لها، وبما صار لصاحبها صلى الله عليه وسلم وأصحابه حرية العبادة والتنقل وإقامة الشعائر بلا خوف في الزمان والمكان معاً، وهو الملحوظ في قول علي رضي الله عنه: «فإنها فرقت بين الحق والباطل» هذا هو المعيار.

قد تسقط قضايا برمتها تتعلق بمصائر أمم حين يكون تزوير التاريخ سبيلاً للادعاء

من أسباب تبديل العرب للتقويم تثبيت الحج في فصل واحد ليتمكنوا من التجارة وقت اعتدال الحرارة

التاريخ إحدى الأدوات التي تكشف الزيف وتجعله هباءً منثوراً

التأريخ يكشف زيف اليهود وغيرهم:

إن التاريخ إحدى الأدوات التي تكشف الزيف وتزيله، وتجعله هباء منثوراً، ومن أقوال العلماء: «لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ»[٥]، فحين يكذب اليهود والنصارى ويسوقون دعوى باطلة ردها الله عليهم بما لا مناص منه ولا مجادلة فيه، فحين ينسب اليهود إبراهيم الخليل لليهودية، وينسبه النصارى للنصرانية؛ تتدخل قضية التاريخ للفصل والإفحام، فيقول الله تعالى مخاطباً لهم: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾) (آل عمران).

في التاريخ الإسلامي محاولات حاول أصحابها ادعاء دعاوى باطلة بعهود مزورة كشفها التاريخ، يذكر ابن الجوزي (٥٩٧هـ) أنه «قد أظهر بعض اليهود كتاباً، وادعى أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادات الصحابة، وأن خط علي بن أبي طالب فيه، فعرضه رئيس الرؤساء ابن مسلمة على أبي بكر الخطيب، فقال: هذا مزوّر، قيل: من أين لك؟! قال: في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان، ومعاوية أسلم يوم الفتح، وخيبر كانت في سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وكان قد مات يوم الخندق»[٦]، كأنه قال: كيف يشهد سعد بن معاذ على أمر حدث بعد وفاته بثلاث سنوات؟! وكيف يشهد معاوية على أمر وقع قبل إسلامه بسنة؟!

ومن طرائف كشف الزيف بالتاريخ ما في الصحيح أن عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي قال: سمعت أبا نعيم، وذكر المعلى بن عرفان فقال: قال: حدثنا أبو وائل، قال: خرج علينا ابن مسعود بصفين، فقال أبو نعيم: «أتراه بعث بعد الموت؟»[٧]، قال النووي (٦٧٥هـ): «معنى هذا الكلام أن المعلى بن عرفان كذب على أبي وائل في قوله: «خرج علينا ابن مسعود»؛ لأن ابن مسعود رضي الله عنه توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه، و«صفين» كانت في خلافة علي رضي الله عنه، فلا يكون ابن مسعود رضي الله عنه خرج عليهم بـ«صفين» إلا أن يكون بعث بعد الموت[٨].

وبهذا كان الضبط في نقل الكلام والحوادث أحد وجوه صوابية صحة التاريخ.■

الهوامش

(١) متفق عليه، البخاري (برقم ٥٢٣٠)، ومسلم (برقم ١٦٧٩)
(٢) الروض الأنف: ١/ ١١٤.
(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٦/ ١٢٤).
(٤) عمدة القاري، للعيني (١٧/ ٦٦).
(٥) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (٧/ ٣٥٧).
(٦) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي (٨/ ٢٦٦).
(٧) مقدمة صحيح مسلم، طبعة دار الجيل (١/ ٢٠).
(٨) شرح النووي على مسلم (١/ ١١٨).

الحج مشاعر فوق الوصف..

ماذا قالوا حينما شاهدوا الكعبة المشرفة؟

لندن: د. أحمد عيسى

كان إحساسي جملة من المشاعر الحية حينما وقع بصري على الكعبة المشرفة لأول مرة، كان الإحساس الأكبر هو مهابة ورهبة وعظمة وعلو وشرف وجلال وجمال وارتفاع الكعبة، ونزلت دموعي دون قصد، هل هو الفرح ببلوغ الغاية؟ هل هما الخوف والرجاء في إدراك الملاذ من جم الذنوب؟ هل هو الانتماء للأمة، أم تذكر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأطهار الذين كانوا هنا من قبل؟

ثم بعد نظرة الحب الأولى؛ فإن العين لا تشبع ولا تمل من رؤيتها، كأن الله وضع لها الحب والجاذبية في قلبي، ويا الله من انفطار القلب في طواف الوداع حينما تشعر كأنك لن تراها رأي العين بعد الآن، وتحاول جاهداً أن تملأ العين والقلب بها بلهفة وتقدير! وتتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم عند خروجه من مكة: «أما والله لأخرج منك، وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إليّ وأكرمه على الله، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت» (صححه الترمذي).

في هذا المقال سأسرد بعض المشاعر التي سجلها بعض الحجيج عند رؤية الكعبة المشرفة، وهم من أزمنة مختلفة وشعوب مختلفة جمعهم الإسلام العظيم.

ابن بطوطة (حج عام ١٣٢٦م)

يقول ابن بطوطة: «وصلنا عند الصباح إلى البلد الأمين مكة شرفها الله تعالى، فوردنا منها على حرم الله تعالى، ومبوّأ خليله إبراهيم، ومبعث صفيه محمد صلى الله عليه وسلم، ودخلنا البيت الحرام الشريف الذي من دخله كان آمناً من باب بني شيبة، وشاهدنا الكعبة الشريفة، زادها الله تعظيماً، وهي كالعروس تتجلى على منصة الجلال، وترفل في برود الجمال، محفوفة بوفود الرحمن، موصلة إلى جنة الرضوان.

ومن عجائب صنع الله تعالى أنه طبع القلوب على النزوع إلى هذه المشاهد المنيفة، والشوق إلى المثول بمعاهدها الشريفة، وجعل حبها متمكناً

في القلوب، فلا يحلها أحد إلا أخذت بمجامع قلبه، ولا يفارقها إلا أسفاً لفراقها، متولهاً لبعاده عنها، شديد الحنين إليها، ناوياً لتكرار الوفادة عليها، فأرضها المباركة نصب الأعين، ومحبتها حشو القلوب، حكمة من الله بالغة، وتصديقاً لدعوة خليله عليه السلام.

والشوق يحضرها وهي نائية، ويمثلها وهي غائبة، ويهون على قاصدها ما يلقاه من المشاق ويعانيه من العناء، وكم من ضعيف يرى الموت عياناً دونها، ويشاهد التلف في طريقها، فإذا جمع الله بها شمله، تلقاها مسروراً مستبشراً، كأنه لم يذق لها مرارة ولا كابد محنة ولا نصباً، إنه لأمر إلهي، وصنع رباني، ودلالة لا يشوبها لبس، ولا تغشاها شبهة، ولا يطرقها تمويه، وتعز في بصيرة المستبصرين، وتبدو في فكرة المتفكرين.

ومن رزقه الله تعالى الحلول بتلك الأرجاء، والمثول بذلك الفناء، فقد أنعم الله عليه النعمة الكبرى، وخوّله خير الدارين؛ الدنيا والأخرى، فحق عليه أن يكثر الشكر على ما خوله، ويديم الحمد على ما أولاه، جعلنا الله تعالى ممن قبلت زيارته، وربحت في قصدها تجارته، وكتبت في سبيل الله آثاره، ومحيت بالقبول أوزاره، بمنه وكرمه»[1].

المستشرق البريطاني «بيرتون» (حج عام ١٨٥٣م)

استعد المستشرق البريطاني «ريتشارد فرانسيس بيرتون» لرحلته إلى مكة بالقيام بالعديد من التدابير، وكان منها أنه اختتن وهو في سن الثانية والثلاثين، وخلع ثيابه الأوروبية، ولبس ملابس طبيب مسلم أفغاني، وذهب لأداء فريضة الحج بصحبة قافلة الحج المصرية عام ١٨٥٣م، وأطلق على نفسه اسم الحاج عبدالله، ووصف لنا تفاصيل رحلته في كتاب رائع بعنوان «الحج إلى المدينة ومكة».

ومن أروع اللحظات التي أبدع في وصفها، عندما رأى الكعبة لأول مرة؛ حيث سجل شعوره في هذه اللحظة قائلاً: «وها هي أخيراً منبسطة أمامي، مبتغى حجتي الطويلة والمرهقة، تحقق أحلام الكثير والكثير كل عام، ظهر سراب الكعبة في بهاء فريد، كان المنظر غريباً، فريداً، وكم هم قلة الذين رأوا حقاً المكان المقدس!

وأستطيع أن أقول بكل صدق: إن من بين كل العباد الذين تعلقوا بأستارها باكين، والذين ضغطوا صدورهم النابضة على جدرانها، لم يشعر بتلك اللحظة أحد بشكل أعمق من الحاج الآتي من أقصى الشمال، كان الأمر وكأن الأساطير الشعرية العربية لم تنطق سوى الحقيقة، وكما أن خفق أجنحة الملائكة لا نسيم الصباح هي التي تعبث بكسوة الكعبة، ولكن ولأتحرى الصدق، كان شعورهم شعوراً بالحماس الديني، بينما كان شعوري هو نشوة الفخر المحقق»[2].

«محمد أسد» (ليوبولد فايس) (حج عام ١٩٢٧م)

يقول «محمد أسد» في كتابه «الطريق إلى مكة» الذي ترجم تحت عنوان «الطريق إلى الإسلام»: «هناك انتصبت الكعبة، مغطاة بكاملها بالنسيج الحريري الأسود، جزيرة هادئة وسط ساحة المسجد المربعة الواسعة؛ أبسط كثيراً من أي أثر معماري آخر في العالم، قد سبق لي أن رأيت في بلدان إسلامية مختلفة مساجد أبدعت في بنائها أيدي الفنانين من المهندسين المعماريين العظام، رأيت مساجد في أفريقيا الشمالية معابد تتألق بالرخام والمرمر الأبيض، وقبة الصخرة في القدس قبة كاملة فوق بناء دقيق، حلم من الخفة والثقل اتحدا دونما أثر للتناقض، ومباني إسطنبول الفخمة، ومساجد بورصة في الأناضول، ومساجد الصفوية في إيران، روائع ملكية من حجارة زاهية وبلاطات ملونة وأبواب مطعمة بالفضة، وخرائب مساجد تيمورلنك الجبارة في سمرقند، الرائعة حتى في انحلالها.

كل هذه سبق أن رأيتها، ولكن شعوري لم يكن قط قوياً كما كان الآن أمام الكعبة، بأن يد الباني كانت على مثل ذلك القرب من مفهومه الديني، ففي بساطة المكعب المطلقة، في الإنكار التام لكل جمال للخط والشكل نطقت هذه الفكرة تقول: «إن أيما جمال قد يستطيع الإنسان أن يخلقه بيديه، يكون من الغرور اعتباره جديراً بالله، وإذن فكلما كان ما يستطيع أن يتصوره بسيطاً كان ما يستطيع فعله لتمجيد الخالق أعظم ما يكون»، فهذا التواضع الفخور في هذا البناء الصغير لم يكن له مثيل على الأرض.

ووقفتُ أمام الكعبة، وأخذتُ أحدق إلى عظمتها دون تفكير - إذ إن الأفكار والخواطر جاءت بعد ذلك بوقت طويل - ومن

ابن بطوطة: من رزقه الله الحلول بتلك الأرجاء والمثول بذلك الفناء فقد أنعم عليه النعمة الكبرى

بيرتون: خفق أجنحة الملائكة لا نسيم الصباح هو الذي يعبث بكسوة الكعبة

أسد: هذا التواضع الفخور في هذا البناء الصغير لم يكن له مثيل على الأرض

صميمي طفحت سعادة كأنها أغنية صامتة، وتابعتُ طوافي، ومرت الدقائق، وأخذ كل ما كان تافهاً مراً في قلبي يزايل قلبي، وأصبحت جزءاً من سيل دائري.. آه.. هل كان هذا معنى ما كنا نفعل: أن نصبح واعين أن المرء جزء من حركة في مدار؟ هل كان ذلك نهاية كل حيرة؟ وتلاشت الدقائق وهدأ الزمن نفسه، وكأن هذا المكان هو محور العالم..»[3].

«مالك شباز» (مالكولم إكس) (حج عام ١٩٦٤م)

قال مالك شباز: «لقد أوسع الحج نطاق تفكيري، وفتح بصيرتي فرأيت في أسبوعين

إكس: أوسَعَ الحج نطاق تفكيري وفتح بصيرتي فرأيت في أسبوعين ما لم أره في ٣٩ سنة

وولف: نحن نلتف حول أساس ديننا وهذا شكل من أشكال العبادة كتعبير عن جعل الله محور حياتنا

هوفمان: صورة معمارية لكمال بيت الله في أبسط صوره بعيداً عن التعقيد الذي يبدو في الفن القوطي وغيره

ما لم أره في تسع وثلاثين سنة، رأيت كل الأجناس من البيض ذوي العيون الزرق، حتى الأفارقة ذوي الجلود السوداء، وقد ألّفت بين قلوبهم الوحدة والأخوة الحقيقية؛ فأصبحوا يعيشون وكأنهم ذاتٌ واحدة في كنف الله الواحد».

وأضاف: «لقد أكرمني الله بزيارة مكة المكرمة، فقد قمت بالطواف حول الكعبة سبعة أشواط، وكان يقودني مطوف صغير السن يسمى محمداً، وشربت من بئر زمزم، ثم قمت بالسعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط، كما قمت بالصلاة في مِنى، ثم بالوقوف على جبل عرفات، وهناك كان يوجد عشرات الآلاف من الحجاج من جميع أنحاء العالم، كانوا بمختلف الألوان، فمنهم الأشقر أزرق العينين، ومنهم الأفريقي ذو البشرة السوداء، لكننا جميعاً كنا نؤدي شعيرة واحدة، مظهرين روح الوحدة والأخوة التي لم أكن أظن - حسب واقع تجربتي في أمريكا - أنها من الممكن أن توجد بين الأبيض وغير الأبيض»[٤].

«مايكل وولف»
(حج عام ١٩٩٠م)

«مايكل وولف» أكبر منتجي الفيلم المشهور عن الرسول Muhammad: Legacy of a Prophet الذي رآه ملايين الأمريكيين عام ٢٠٠٢م، وبث أكثر من ٥٠٠ مرة على المحطات الأمريكية، وقد اشتهر أيضاً بفيلمه الوثائقي «أمريكي في مكة» الذي أذيع على قناة «إيه بي سي» الإخبارية الأمريكية عام ١٩٩٧م، ومؤلف كتاب «ألف طريق إلى مكة»، ولد لأب يهودي وأم مسيحية.

في منتصف العشرينيات من عمره ذهب للمغرب وهناك كانت بداية إسلامه قائلاً: «كان الحج أبرز شيء جذبني للإسلام قبل أن أُسلم، وعندما أصبحت مسلماً بعد عشرين عاماً من التفكير في الأمر كان أول ما أردت فعله هو الذهاب للحج، وعندما طفت حول الكعبة - لأول مرة - كنت في حالة انبهار، أنت في الواقع تضع الله في مركز حياتك».

يقول في فيلمه عن الحج: «الكعبة هي رمز وحدانية الله، الطواف باتجاه دوران الأرض حول الشمس، نحن نلتف حول أساس ديننا، وهذا شكل من أشكال العبادة كتعبير عن جعل الله محور حياتنا، كل طواف يبدأ وينتهي عند الحجر الأسود باعتباره حجر زاوية رمزي للإسلام، وهو الجزء الوحيد المتبقي من البناء الأصلي لإبراهيم عليه السلام»[٥].

«مراد هوفمان»
(حج عام ١٩٩٢م)

من وجهة نظر «هوفمان»، فإن العقيدة الإسلامية تتميز بالوضوح والبساطة وخلوها من التعقيد الموجود في العقائد والمذاهب الأخرى، ويظهر ذلك في طريقة بناء الكعبة التي وصفها بأنها: «مكعب مجوف خالٍ تماماً، مبني بأحجار ضخمة، ولذلك فهو صورة معمارية لكمال بيت الله في أبسط صوره، بعيداً عن التعقيد الذي يبدو في الفن القوطي وغيره من الفنون الأوروبية».

ومن أهم التأملات التي كتبها كانت عن الطواف الذي رآه بأنه «شديد الجمال؛ فالكعبة تبدو مركزاً ثابتاً لا يتحرك لأسطوانة تدور ببطء وفي سكون تام في اتجاه مضاد لاتجاه عقارب الساعة، ولا يتغير هذا المشهد إلا عند الصلاة؛ حيث تصير الكعبة مركزاً لدوائر عديدة متحدة المركز، تتكون من الآلاف من أجسام ناصعة البياض لأناس يرغبون في شيء واحد، ويبحثون عن شيء واحد، ويفعلون شيئاً واحداً؛ رمزاً لتسليم النفس إلى بارئها».

أما الحجر الأسود فيقول عنه «هوفمان»: «هو الأثر الوحيد الباقي من مدة ما قبل الإسلام، وهو بإيجاز أقدم أجزاء الكعبة، ناهيك عن أن محمداً صلى الله عليه وسلم شخصياً هو الذي وضعه حيث هو اليوم؛ فعند إعادة بناء الكعبة تنازع أشراف مكة على شرف وضع الحجر الأسود موضعه القديم، وقام النبي محمد صلى الله عليه وسلم بحل نزاعهم عندما اقترح وضع الحجر الأسود في ثوب يمسك بأطرافه جميع أشراف مكة لرفعه، ليقوم هو - الحكم المحايد - بوضعه حيث هو الآن؛ ولذلك فإن من يلمس هذا الحجر يتصل اتصالاً مادياً بالرسول صلى الله عليه وسلم، وينضم مثل ملايين سبقوه في سلسلة متواصلة»[٦].

الهوامش

(١) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحفة النُّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم ١٩٨٧.

(2) Sir Richard Burton (1821 – 1890)-www.bbc.co.uk/history

(٣) محمد أسد، الطريق إلى الإسلام، دار العلم للملايين ١٩٧٦.

(4) Letter from Mecca- http://www.malcolm-x.org/docs/let_mecca.htm

(5) The Hajj with Michael Wolfe was a 22-minute ABC Friday Night News Special With Ted Koppel that aired on April 18, 1997 https://www.youtube.com/watch?v=xtbqetnuTus

(٦) هوفمان، رحلة إلى مكة، مكتبة العبيكان ٢٠٠١.

وقفية الأبرار لرعاية الأيتام

الرحمة العالمية
RAHMA INTERNATIONAL
جمعية الإصلاح الاجتماعي
التميز في العمل الخيري

عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :
«أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا».

متفق عليه

لنمنحهم الأمل .. لمستقبل أفضل

سهم الوقفية
120 د.ك

يمكن التبرع بقيمة السهم مباشرة أو بالاستقطاع الشهري
يصدر للمتبرع شهادة عضوية

يُصرف من ريع وقفية الأبرار على توفير البيئة التربوية الصالحة الملائمة لرعاية الأيتام وحفظ هويتهم ودينهم.

خدمة المتبرعين
1888808

www.KhairOnline.Net

@khaironline

الخطاب الديني.. تجديد أم تبديد؟

المطالبة بتجديد الخطاب الديني ربما تكون مطالبة بتغيير بعض الفهوم تجاه النصوص القطعية

تحقيق: إسلام عبدالعزيز - عبدالغني بلوط

«لماذا يتحاشى بعض المسلمين الاعتراف بضرورة التجديد ليبقى كل شيء كما كان يعهد، فليس في الإمكان أفضل مما كان، إيثاراً للإلف وتوجساً وارتياباً من كل حديث وجديد أو مشتق منهما، فهو يفضل أن يبقى فكره وخطابه ولغته وطريقته وعلمه متكلساً مترهلاً مهترئاً ألف مرة على أن تناله يد التجديد، أو تطاله بواعث التحديث وأسبابه؟».

ما سبق، كان هزة رآها البعض قاسية من الداعية السعودي د. سلمان العودة، في جسد المجتمع الفقهي، المصطدم أساساً بتحدّ اسمه «تجديد الخطاب الديني»، تحول، مؤخراً، من قضية بحثية، إلى اجتماعية، فسياسية، بعد إقحامه في مسألة الإرهاب والعنف التي تضرب العالم كله الآن.. وبالتالي أريد له أن يقفز في سلم الأولويات إلى الصدارة، بما لا يدع مجالاً للتعامل معه بأريحية، على الأقل من وجهة نظر الرؤساء والحكام، الذين بات تفاعلهم مع هذا الملف حاضراً وملحاً.

«تجديد الخطاب الديني».. قضية ما تفتأ تخبو حتى تشتعل، ومع اشتعالها يطال لهيبها الكثير من جنبات المجتمعات فيزيدها انقساماً وتهديداً لسلامها العام، المترنح أساساً، في هذه الأيام العصيبة.

ولأن الأمر مرتبط بالدين، فإن اختلاف الآراء سرعان ما يتحول إلى اتهامات متبادلة بالتكفير من جانب أو الرجعية من جانب آخر.

د. سلمان العودة يرى أن عدم الرغبة في الاجتهاد وتجديد الخطاب الديني «مظهر جلي من مظاهر الضعف والخور والهزيمة النفسية، كما أن الارتماء في أحضان كل جديد هزيمة نفسية».

يختزل أصحاب هذه الأصوات مسألة تجديد الخطاب الديني في نقطتين اثنتين بانيتين لمطلبين أساسيين:

الأولى: ترتكز على مسلّمة أن هذا الخطاب لم يعد يواكب، أو لا يواكب بما فيه الكفاية، ما حملته وسائل الإعلام الجديدة من مزايا كبرى، لم تكن مباحة أو متاحة في زمن الندرة التكنولوجية، حيث كانت «الرسالة» محصورة في المساجد، أو في الحلقات النقاشية الضيقة، أو من بين ظهراني بعض النوادي النخبوية المغلقة، فكان أثرها محدوداً ومفعولها غير ذي وقع كبير بالنفوس والعقول.

أما النقطة الثانية والمنطلقة من مجريات الواقع، فيلاحظ

أن الصيغ والقوالب والطرق والأساليب التي ركب الخطاب الديني ناصيتها إلى عهد قريب، لم تستطع مواكبة «الظاهرة الدينية» في حركيتها وتموجاتها، فلم تفرز، ضمن ما أفرزته، إلا تشدداً في الدين، وتقوقعاً حول المذهب، وتطرفاً في الموقف، وتكفيراً للآخر واستباحة لحرية معتقد الناس، أبناء العقيدة المشتركة كما المنتمين لباقي العقائد على حد سواء.

هل هو خطاب ديني واحد أم خطابات متعددة؟

التوقف عند هذا السؤال يشي بأنه ليس ثمة على أرض الواقع خطاب ديني واحد وناظم، بقدر وجود خطابات متعددة ومتباينة لدرجة التناقض في بعض منها، إذ هناك خطابات سلفية موغلة في التشدد، وأخرى محافظة وأقل غلواً، وثالثة وسطية أو معتدلة وأخرى متحررة.

ثم هناك إلى جانب هذا وذاك خطابات نابعة من المؤسسات الدينية الرسمية وأخرى صادرة عن تنظيمات ومجاميع خارج المؤسسات الرسمية.

ثم هناك، في تصنيف ثالث، خطابات تشدد على منطوق الدين وحرفيته، وأخرى تدفع بضرورة الأخذ بروحه ومقاصده، لبناء خطاب ديني يستلهم من الدين قيمه وأخلاقه ومقاصده الكبرى.

القضية إذن تبدو في تنوعها تنوعاً للأفهام؛ وبالتالي فإن المطالبة بتجديد الخطاب الديني ربما تكون مطالبة بتغيير بعض الفهوم تجاه نصوص يتفق الجميع على ثبوتها ثبوتاً قطعياً، لكن الاختلاف حول معانيها التي تضيق وتتسع بحسب الأفهام التي تتعامل مع تجلياتها.

> **هناك عوامل عديدة تتشارك في تباين الأفهام للنصوص مثل طبيعة البيئة والسياق العام**

وهنا تبرز عوامل عديدة تتشارك في صناعة تلك الأفهام المتباينة، لعل أهمها طبيعة البيئة التي تنتج فهماً للنص الديني متأثراً بالحالة والسياق العام، ففهم المصري الناشئ في البيئة الزراعية النيلية يختلف عن فهم الحجازي الذي يعيش في بيئة صحراوية، والاثنان يختلفان بالكلية عن فهم المسلم الأوروبي الذي يحيا وسط بيئة مغايرة تماماً من جهات متعددة.

حديث «المائة سنة»

صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (أخرجه أبو داود والحاكم وصححه).

وهذا الحديث يطرح إشكالية أخرى عن المقصود بالتجديد على وجه التحديد.. هل هو الخطاب أم الدين نفسه، في ظل حالة ارتياب من كل دعوة تقصد المساس بما تعارف عليه الناس وظنوه محل إجماع.

وهنا يعلق د. سلمان العودة قائلاً: فقهاء يصفون أنفسهم بالمجددين، يرون في الحديث السابق دعوة واضحة من النبي، ﷺ، لتجديد الخطاب الديني، والذين يقومون بعمل هذا التجديد جاؤوا بلفظ «مَن» فهو عام يشمل الفرد والجماعة، وفي ظل توسع الأمة واتساع رقعتها والانفتاح العالمي وتضخم الخلل الموجود في واقعها، فإن هذا الواقع يفرض كون هذا العمل التجديدي ليس شأن فرد واحد، بل مجموعات تتكامل فيما بينها، وتؤدي أدواراً مختلفة وتخصصات علمية متباينة وحقولاً معرفية كلها تنتهي عند مصب المصدر الأصلي «الشريعة».

وهناك فرق، بحسب العودة، بين الخطاب الديني والوحي المنزل، بمعنى أن الخطاب الديني يعتمد على الوحي في كثير من الحالات، لكنه يبقى في حدود العمل العقلي البشري أو العمل الاجتهادي الذي يرتبط بإمكانيات الإنسان وقدرته وطاقته، فهو مثل خطاب الفقهاء والوعاظ والمصلحين الذي يمثل اجتهاداً من عندهم.

> **العودة: التجديد يجب أن يكون بأيدي رجالات الإسلام وعن طريق المتخصصين الإسلاميين**

ومفهوم «تجديد الخطاب الديني» يتنازعه طرفان:

الأول: فئة تتحدث عن تجديد الخطاب الديني وهي تصدر من منطلقات غير دينية، وأعتقد أنه لا يمكن تجديد الخطاب الديني من خارج هذا الخطاب الديني نفسه سواء بظروف محلية أو عالمية.

الثاني: بعض القوى الإسلامية الخائفة التي اشتد بها الخوف، فإذا سمعت مثل هذا اللفظ ترامى إلى أذهانها أنها مؤامرة لتحريف الدين أو لتغيير الخطاب.

ولذا فإن تجديد هذا الخطاب، كما يرى العودة، ضرورة فطرية وبشرية؛ لأنه خطاب مفكك وفردي برأيه، بينما يشهد العالم تجمعات وتطورات هائلة في مجال التقنية والمعلومات والاختراعات.

ويعرف العودة التجديد المقصود بقوله: إن هذا التجديد الحي قراءة واعية واعدة للنفس والآخر والواقع، وقراءة قادرة على إيجاد الحلول الشرعية المناسبة لمشكلات الواقع.

ثم يؤكد أنه لا مناص من التجديد قائلاً: إذا لم نؤمن بذلك فأمامنا خياران:

الأول: الجمود ويعني ذلك الإطاحة بحق الحياة وسحقها في عصر تكتنفه الحركة الثائرة من كل جهة.

والثاني: الذوبان، وذلك معناه الإطاحة بحق الدين والشريعة والثقافة والتراث.

إن هذا التجديد يجب أن يكون بأيدي رجالات الإسلام وعن طريق المتخصصين الإسلاميين، ولا أقول بالضرورة: الفقهاء، وإنما المختصون على العموم، ويجب أن تكون أدوات هذا التجديد ووسائله داخلية

تلمس مشاعره وتتحدث من داخل إطاره، وعلينا أن نتفق على الضرورات والقواعد الشرعية والمحكمات الدينية الثابتة، كما يسميها ابن تيمية «الدين الجامع».

أما ماهية هذا التجديد فترتيبٌ لسلّم الأوليات وتنظيم للأهم والمقاصد الكبرى للعلم والدعوة والإصلاح واتفاق على ذلك وتسهيل تطبيق ذلك وتوجيهه في أرض الواقع، وإبراز لجانب القيم والأخلاق الإسلامية الإنسانية العامة التي يحتاج إليها الناس كلهم دون استثناء، وتطبيع قيم العدل التي يأمرنا بها الإسلام تجاه الخلق كلهم ومعاملة الناس كلهم بالحسنى، قال تعالى: (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا) (البقرة: ٨٣)؛ قال ابن عباس: «اليهودي والنصراني».

من جانبها، قامت «المجتمع» باستجلاء آراء عدد من العلماء والدعاة المعنيين بالأمر.

بين الإصلاح والتجديد

حيث يرى د. محمد نبيل غنايم، أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر، أن هناك فرقاً بين «الإصلاح الديني»، و«تجديد الخطاب الديني»، فالأول هو الذي تعرضت له الأديان الأخرى، وقد شاع هذا المصطلح في الغرب؛ لأنه يفترض أن هناك نقصاً يستلزم الهدم وإعادة البناء ورفض الموروث؛ وهذا أمر مرفوض عندنا؛ لأن «التجديد» هو إضافة وتحديث وتفتح مع الجمع بين «الأصالة والمعاصرة»، ونشر العلم الصحيح بين أبناء الأمة، وإعادة بيان دلالات النصوص وإزالة الفاسد الناتج عن الجهل

غنايم: التجديد إضافة وتحديث مع الجمع بين الأصالة والمعاصرة

في وقت من الأوقات، وإزالة ما علق بالدين من أخطاء كانت نتيجة الاجتهادات الخاطئة التي تنعكس سلباً في سلوكيات الناس وعقائدهم.

ويضيف غنايم أن الإسلام يمتدح التجديد المنضبط المنطلق من الوصايا العشر في قول الله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾) (الأنعام)، وهذا التجديد يجعل الإسلام منفتحاً على العالم، ويدعو لإعماره لتحقيق رسالة الاستخلاف والتعمير في الأرض مع العبادة الصحيحة البعيدة عن البدع والتنطع.

كريشة: مواكبة هذا الخطاب للعصر وقدرته على التأثير الإيجابي وتحريك العواطف

ووفقاً لهذا المفهوم، يقول غنايم: إن التجديد الصحيح للخطاب الديني هو الذي يجعل أبناء الأمة يصلحون ولا يفسدون، ويبنون ولا يهدمون، ويجمعون ولا يفرقون، ويتعاونون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، فهذه هي الغاية الكبرى من التجديد المنشود.

تجديد الوسائل

ملمح آخر يؤكده د. طه أبو كريشة، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، حينما يؤكد أن التجديد المقصود هو تجديد الوسائل والأدوات التي يتم من خلالها عرض أحكام هذا الدين وتداخلاته مع كل من المجال العام والمجال الخاص.

فلا يعقل أن تظل الوسائل هي هي، والأدوات هي هي عبر العصور، وهذه مساحة تدخل في إطار ما يسميه الأصوليون مساحة العفو، فهي مسكوت عنها في الشريعة لتكون متروكة لكل عصر ومصر يتعامل من خلالها بما يناسب الزمان والمكان والإنسان.

ولذا اعتبر أبو كريشة أن التجديد ضد الجمود ومعناه مواكبة هذا الخطاب للعصر وقدرته على التأثير الإيجابي وهز المشاعر وتحريك العواطف نحو تحقيق رسالة الإسلام بلا إفراط أو تفريط.

ضوابط التجديد

من جهته، حصر د. أحمد عمر هاشم، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، مفهوم التجديد في بيان حكم الإسلام في النوازل المستجدة وتنزيل الحكم الشرعي على الواقع المعاصر مع ضرورة مراجعة الفقهاء المعاصرين للتراث الفقهي وتمحيصه وتيسير فهم الدين للناس، قد ورد في الحديث عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن الإيمان ليَخْلَقُ في جوف أحدكم كما يَخْلَقُ الثوب، فاسألوا الله أن يُجددَ الإيمانَ في قلوبكم»، والمجددون للدين هم أهل العلم المخلصون المتخصصون الذين أمر الله بسؤالهم حين قال: (فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾) (الأنبياء).

وحث هاشم على أن يكون الهدف والمنطلق الأسمى للتجديد هو الاعتصام بالأصول والثوابت الإسلامية التي لا تقبل التجديد، حيث يطالب البعض بالخروج عن ثوابت الدين وتحليل الربا ورفض الحجاب، والسخرية من إقامة الحدود والدعوة للمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة حتى في الميراث وزواج المسلمة من غير المسلم، ولهذا لا بد أن يعمل التجديد

على حماية الدين من تحريف الغالين وتأويل الجاهلين، فقال النبي ﷺ: «يحمل هذا العلمَ من كل خلف عُدولهُ، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»، وقال الإمام النووي تعليقاً على هذا الحديث: «هذا إخبار منه ﷺ بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه، وأن الله تعالى يوفق له في كل عصر خَلَفاً من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف وما بعده، فلا يضيع».

وحذر الرئيس الأسبق لجامعة الأزهر من تحول «التجديد» إلى «تخريب» على يد الموالين لغير المسلمين ممن يدسون السم في العسل، وليكن في ذاكرتنا ونصب أعيننا قول الله تعالى: (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾) (البقرة)، وقد فضح الله هؤلاء جميعاً بقوله: (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾) (آل عمران).

ولهذا يؤكد هاشم رفضه الدعوة إلى التغيير العشوائي أو الكلي لمناهج التعليم الديني؛ لأنها في الحقيقة تستهدف تجفيف المنابع الدينية عند الناس؛ فيعم الجهل ويضيع الدين ويغرق المجتمع في الفسق والرذائل الأخلاقية.

أكد د. أحمد كافي، أستاذ التعليم العالي للدراسات الإسلامية بالجامعة المغربية، أن تجديد الخطاب الديني سُنة كونية وشرعية لا يمكن إنكارها أو تجاوزها.

وقد دلت النصوص

هاشم: نحذر من تحول «التجديد» إلى «تخريب» على يد الموالين لغير المسلمين ممن يدسون السم في العسل

الشرعية، والتجربة التاريخية لأئمة الإسلام، مسيس الحاجة إليه في كل زمان، وأن على أهل الحل والعقد والنظر في الأمة أن ينهضوا بواجب هذا التجديد، ويبرزوا ملامحه، حتى يكون جديداً ييسر التدين، ويحقق مقاصد الدين من الخلق.

وأبرز كافي في تصريحه لـ«المجتمع» أن هذه الدعوة يتم الحديث عنها من طائفتين:

الأولى: طائفة المتخصصين من أهل الإسلام؛ أئمة وعلماء وفقهاء وباحثين شرعيين وغيرهم، يريدون أن ينهضوا بالأمة كي تأخذ مكانها الطبيعي انطلاقاً من هويتها وقواعد دينها ومقاصده وكلياته.

الثانية: طائفة عندها موقف معاداة للدين، وتعتقد أن رفع هذا الشعار كاف للإغارة على الدين وإفساده والتخلص منه بمثل هذه الدعوة، وهؤلاء هم المبطلون الذين يحملون باطلاً لنسف حق ومعارضته والوقوف في وجهه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

ومهما يكن من أمر، حسب كافي، فإن الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني، دعوة صحيحة موفقة سامية، غير أنه ليس كل دعوة يراد بها الخير، فكم من الدعاوى التي ينادي بعض الناس بها، وهم من أعدائها في باطن حقيقتهم كما تشهد عليهم تصرفاتهم وأحوالهم، وعن ذلك يقول علي رضي الله عنه: «كلمة حق يراد بها باطل».

وشدد كافي، المتخصص في العلوم الإسلامية، على أن الوجه الصحيح لهذا الموضوع لا يتم ذلك إلا عن طريق مجموعة من الإجراءات العملية، أهمها:

أولاً: الاقتناع بالتجديد؛ إذ لا بد من أن يتشبع أهل الإسلام ومن يتصدرون الشأن الديني أن تكون لهم قناعة راسخة في أن الأمة تحتاج إلى التجديد

كافي: الحاكم في التجديد قبولاً ورفضاً قواعد الدين ومحكماته وكلياته ومقاصده

والمجددين، وأن هذا التجديد ضرورة شرعية، وسُنة كونية، لا يمكن الاستمرار بالأريحية والإيمان بهذا الدين العظيم إلا على وفق هذا الناموس، ناموس التجديد في جميع المجالات، ومنها مجال الخطاب الديني.

ثانياً: أن يقوم بذلك أهل الاختصاص حصراً وقصراً، وليس غيرهم، فإذا كانت كل المهن والوظائف والعلوم ترفض أن يتكلم فيها الجاهلون، ومن عندهم معارف محدودة، أو جرأة زائدة؛ فإن الدين خطاباً وإنتاجاً لا يشذ عن هذه القاعدة التي لا ينكرها عاقل.

إن التجديد لا يقوم به إلا الأكابر من القوم في مجالهم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائة سنة من يُجَدّدُ لها دينَها» (رواه أبو داود)، وقوله صلى الله عليه وسلم «على رأس كل مائة سنة»؛ إشارة إلى أن الرؤوس الكبيرة هي التي تتحمل تبعات التجديد، وليس أسافل الناس أو حتى متوسطيهم.

ثالثاً: أن يكون الحاكم في التجديد قبولاً ورفضاً، هي قواعد هذا الدين، ومحكماته، وكلياته، ومقاصده؛ إذ لا يمكن الحديث عن تجديد للخطاب الديني من يحمل في صدره وقلمه ولسانه معاداة له، ومعاكسة لحقائقه، واجتهاداً في نقض أسسه وأركانه ومحكماته.

وختم بالقول: إن ما سبق هو بعض ملامح كيفية التجديد، وهي معالم كبيرة تنضوي تحتها ما لا يحصى من الوسائل الإجرائية التي يبدعها العقل المسلم، ومن وضع هذه الثلاثة نصب عمله واجتهاده، فالرجاء كبير أن تكون ممارسته للتجديد تجديداً مبصراً ومنتجاً.■

الخطاب الديني.. من التجنيد إلى التجديد!

لمسنا في الفترة الأخيرة كيف صار «تجديد الخطاب الديني» محطاً للسجال الذي لم يقتصر على المسلمين وحدهم، بل تجاوزهم إلى غير المسلمين الذين بات بعضهم دعاة للتجديد الإسلامي ومنظرين له، وهو أمر بالغ الغرابة، والأغرب منه أنه صار أمراً ليس غريباً، وكأنه من البديهي أن يتصدى لتجديد الدين وخطابه أناس من غير أهله، بل ومن أعدائه أحياناً!

د. حازم علي ماهر

دعوات تجديد الخطاب الديني مرتبطة بـ«الإسلاموفوبيا» الذي يهيمن على الخطاب السياسي والإعلامي الدولي

البعض يدعو إلى حذف آيات قرآنية من المناهج التعليمية وتعطيلها

ولا يمكن تفسير هذا الأمر بمعزل عن ظاهرة «الإسلاموفوبيا» التي تهيمن حالياً على الخطابين السياسي والإعلامي في كثير من دول العالم، لا سيما في الدول الكبرى المتحكمة، وهو ما ربط بين مفهومي الإرهاب وتجديد الخطاب الديني، فجعل الأول تكأة للتحكم في الثاني، وإذا بنا نجد أنفسنا أمام حالة من الجرأة على الدين نفسه في سياق الدعوات إلى مكافحة الإرهاب عبر تجديد الخطاب!

ولقد رأينا مؤخراً كذلك كيف امتدت الجرأة على الإسلام تحت شعار «تجديد الخطاب الديني» إلى حد مطالبة البعض – من المسلمين للأسف – بتعديل قواعد الميراث لتحقيق المساواة المطلقة بين الذكور والإناث، مناقضة للنصوص القرآنية قطعية الدلالة التي نصت في حالتين محددتين على أن للذكر مثل حظ الأنثيين، ومتغافلين عن أن المساواة المطلقة شرطها التماثل المطلق وهو أمر غير متحقق في بعض حالات الميراث لاختلاف أدوار الرجل عن أدوار المرأة في منظومة الثقافة الإسلامية، وهو اختلاف تنوع تكاملي لا تضاد صراعي كما هو في الثقافة الغربية على سبيل المثال.

رؤى سياسية علمانية

والحقيقة أن الأمر لم يقتصر على الدعوات إلى تجاوز الدلالات الصريحة لآيات القرآن الكريم المحكمات، بل وصل إلى حد أن دعا البعض صراحة إلى حذف بعض من تلك الآيات من المناهج الدراسية وتجاهلها تماماً وتعطيلها، ولا سيما تلك التي تدعو الناس إلى الجهاد ومقاومة الظلم ونصرة المستضعفين، بحجة أنها تدعو إلى العنف والإرهاب!

كما أصبحت الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني غطاء لتدخل السياسيين في شؤون المؤسسات الإسلامية – الرسمية وغير الرسمية – والتحكم فيها وفي مناهجها وفي علمائها ودعاتها بحجة تطويرها والأخذ بأيديها لتقود تجديداً حقيقياً في الخطاب الديني، على حين أن التجديد الرشيد يقتضي منح هذه المؤسسات استقلالية حقيقية وحرية كاملة في الحركة لتمنحها المصداقية اللازمة لنجاح مساعيها في مقاومة الغلو والانحراف في فهم الدين، وفي إعادة الفعالية للعقيدة الإسلامية في إصلاح أحوال المسلمين بصفة خاصة والإنسانية بصفة عامة.

ولم يقف هذا التجنيد السيئ لمفهوم تجديد الخطاب الديني عند السياسيين وحدهم، بل امتد إلى بعض غلاة العلمانيين الذين أرادوا استغلال ذلك المفهوم في التمكين لحلمهم المنشود بفصل الإسلام عن الحياة العامة ليتحول إلى مجرد شعائر وطقوس فردية فيما بين العبد وربه، فإذا بهم يناقضون شعاراتهم المعلنة التي تدعو إلى الحرية والديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، فيدعون – صراحة وضمناً – إلى ما يصادر هذه الحريات والحقوق عبر إجبار الناس على فهمهم – هم – المغرض للإسلام المحاصر لدوره السامي في الحياة، رغم عدم امتلاكهم لناصية الاجتهاد الشرعي ولا للتجرد اللازم للقيام بهذه المهمة.

إن مثل هذه الدعوات ليست إلا مجرد خطوات – يبدو أنها محسوبة – لإخضاع الخطاب الديني لرؤى سياسية علمانية ليتسق مع الطبعة الجديدة من الحداثة الغربية التي اتسمت بالسقوط في هاوية السيولة والنفعية المادية والنزعة الاستهلاكية والانحطاط الأخلاقي، على عكس ما يرنو إليه تجديد الخطاب الديني

الإسلامي الذي له بواعث مشروعة تدفع إليه، ومنطلقات ينبغي أن تراعى، وضوابط وحدود لا يجوز أن يتجاوزها أو يتخطاها، فضلاً عن أنه - في النهاية - مجرد اجتهاد بشري نسبي في بيان موقف الدين (ذي المصدر الإلهي المطلق) من القضايا المعاصرة بأسلوب يتناسب مع روح العصر، ويجذب الناس إلى الالتزام الديني - طواعية - بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

نحو التجديد الرشيد

وليس هناك مجال الآن للحديث بالتفصيل في كل ما يتعلق بالخطاب الإسلامي وبتجديده، ولكن هناك نقاطاً أساسية أعتقد أنه من المهم التنبيه إليها عند النظر في أمر هذا التجديد حتى نتجنب تحويله عن مساره السديد، وننقذه من أن يكون أداة في يد المعادين للإسلام والجهلاء به على السواء، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: الخطاب الديني هو حلقة ضمن سلسلة متكاملة ومترابطة تحتوي على النصوص الشرعية والفقه الآخذ عنها والفكر المتعمق فيها والدارس لها ولكيفية تنزيلها على واقع ديناميكي متقلب ومتباين، ويأتي دور الخطاب للتعبير عن كل عناصر هذه السلسلة بأسلوب متناغم يتحتم ألا يخرج عن إطارها العام، ولا سيما قطعيات الشرع التي جرى النص عليها بنصوص قطعية الثبوت والدلالة؛ مثل: الفروض الشرعية المحددة بآيات قرآنية قطعية الدلالة كالصلاة والزكاة وصوم رمضان وتحريم الزنا والربا، أو تلك التي حازت مرتبة القطعية عبر الاستقراء التام مثل المقاصد الكلية الخمسة للشريعة الإسلامية؛ وهي حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

ولكن هذا لا ينفي أن كل عناصر الحلقة المذكورة ينبغي أن تخضع للمراجعة وللتجديد كلما اختلفت الأزمنة والأمكنة والظروف والأشخاص والأحوال، غير أن التجديد بالنسبة للنصوص الشرعية ذاتها يقتصر على إزالة الشوائب عنها وفي فهمها وتنزيلها على الواقع، ولا يجوز بأي حال من الأحوال العمل على تغييرها أو تبديلها، فهو اجتهاد في النص لا ضد النص، ومن ثم فإن العنصر الأول الحاسم في منع تجنيد الخطاب الديني هو رفض خروجه عن إطاره العام وإلا فهو مجرد تبديد يستهدف التجنيد!

ثانياً: علاقة الخطاب الديني بالواقع المعيش هي علاقة تفاعلية متبادلة، لا علاقة أحادية استعلائية، بمعنى أنها ذات اتجاهين؛ أولهما يستهدف السمو بالواقع ليرتفع إلى ما ترنو إليه مقاصد الشريعة الإسلامية وقيمها الأساسية وأحكامها القطعية من تحقيق مصالح الأنام الشرعية الضرورية منها فالحاجيّة فالتحسينية، وثانيهما يستجيب لما يفرضه الواقع من تحديات تقتضي المزيد من المرونة والتيسير والمعاصرة والرحمة وسعة الأفق، فلا يتعالى عليه أو ينعزل عنه أو يحيله إلى معيشة ضنك يحرم فيها كل فعل إيجابي من شأنه أن ييسر العيش على الناس.

ويترتب على هذه العلاقة باتجاهيها ضرورة فقه الواقع مع فقه النص ثم فقه التنزيل الأمثل للنص على الواقع، وهذه كلها أدوار أساسية للمفكرين والفقهاء الذين عليهم أن يفقهوا كلاً من أولويات الشرع وتحديات الواقع ويفقهون الموازنات بين المصالح والمفاسد ثم يرسمون خريطة للإصلاح الشامل يعبر عنه الخطاب الديني فيسوّق لها ويعبر عنها كي تتخلل الواقع وتواجه تحدياته وتسمو به.

ثالثاً: تجديد الخطاب الديني ورقيه ومعاصرته لا تعتمد فقط على حسن إعداد المخاطِبين (بكسر الطاء) بل تمتد كذلك إلى تهيئة المخاطَبين (بفتح الطاء) وتوعيتهم بدور الخطاب الديني وبمنطلقاته وبمضامينه وبأهدافه وبمتطلباته، فضلاً عن ضرورة أن يسبق ذلك ويوازيه العمل على صناعة كل من المفكر والفقيه حتى يستطيعا القيام بمهامهما التي سلفت الإشارة إليها، وهو أمر يدفع إلى ضرورة إصلاح التعليم (الديني وغيره) ليستبدل بتلك العقليات التلقينية السطحية عقليات نقدية تحليلية متعمقة في فقه النص والواقع، كما يتعين كذلك الانتباه إلى ضرورة تضافر الجهود في هذا السبيل بين علماء الدين وخبراء الواقع بمكوناته المختلفة والتعاون فيما بينهم بهذا الشأن، مع منحهم استقلالية كاملة؛ فكرية وإدارية ومالية.. وهي متطلبات يمكن التعبير عنها جميعاً - بإيجاز - بأنه ينبغي لتجديد الخطاب من إصلاح حال أطرافه وعناصره فضلاً عن تهيئة البيئة اللازمة لذلك التجديد ولرشده وفعاليته.

رابعاً: الانتباه إلى أن تجديد الخطاب الديني وفعاليته ترتبط كذلك ارتباطاً لازماً بأن يكون نابعاً من الذات الحضارية للمسلمين لا تابعاً للآخرين، وإن استفاد منهم في الأساليب والوسائل، وهو أمر يقتضي التعمق في فهم التحديات الحضارية الأساسية التي تواجه الأمة، خاصة تحديات التخلف الحضاري الناتج عن التبعية والاستبداد والفساد، ومن ثم طرح خطاب يقوي المقاومة الحضارية ويحصن الأمة ضد الاستلاب والتغريب الذي يشكل الواقع بعيداً عن الشريعة بل وضدها أحياناً فيصعب من مهمة الخطاب في أداء رسالته، وهي صعوبة تزداد كلما اعتاد الناس على عادات وأفكار تتعارض مع الشرع وتتصادم معه أحياناً.

وعندئذ يتحول الخطاب الديني من التجنيد إلى التجديد الرشيد.

والله المستعان.■

رئيس مجلس اتحاد أئمة الألبان في سويسرا لـ«المجتمع»:

٩ أولويات للخطاب الديني للمسلمين في الغرب

أكد د. باشكيم علي، رئيس مجلس اتحاد أئمة الألبان في سويسرا، ورئيس لجنة الفتوى التابعة للاتحاد، أن هناك تسع أولويات ينبغي أن يراعيها الخطاب الديني للمسلمين في الغرب، وذكر من بينها أن يكون الخطاب الإسلامي انفتاحياً وشاملاً، ويتطرق لقضايا مجتمعية تهم أبناء المجتمع الغربي من المسلمين وغيرهم، باعتبار أن رسالة الإسلام إصلاحية تسعى لخير الناس كافة.. جاء ذلك خلال حواره مع «المجتمع»، حول أولويات الخطاب الديني العام للمسلمين بالدول غير المسلمة (سويسرا نموذجاً).

الخطاب الديني يجب أن يكون شمولياً وليس إقصائياً ولا مذهبياً ولا أيديولوجياً

يجب أن يعامل الخطاب الإسلامي المسلمين بمنطق المواطن العادي وليس المهاجر

● بداية؛ ما الأسس العامة التي ينبغي أن يبنى عليها أي خطاب إسلامي عام في كل زمان ومكان؟

– هذا سؤال مهم وعام، وقد أجاب عنه العلماء في القديم والحديث أكثر من مرة وفي أكثر من كتاب، ومن جانبي أخص بالذكر هنا الأسس التالية:

ينبغي أن يكون الخطاب الديني مبنياً على العلم بالدين، أن يكون ناقله صادقاً، أن يكون الخطاب شمولياً من عدة جوانب وليس إقصائياً ولا مذهبياً أو أيديولوجياً، أن يكون واقعياً متضمناً للواقع ومتصلاً به، أن يكون وسطياً ومعتدلاً؛ فهذه هي خصوصية الأمة الإسلامية والشريعة الإسلامية، وينبغي أن يكون إيجابياً منفتحاً بنّاءً، كما ينبغي أن يؤسس على الإقناع والحوار وليس الفرض

أو التسلط، وأن يكون مبنياً على الأدلة والتجارب، أن يكون دقيقاً في التعبير، ولا ينبغي أن يكون انفعالياً، كما لا بد أن يكون حيوياً بحيث يتطرق إلى قضايا مهمة وواقعية ويعالج مشكلات تشغل بال الإنسان في هذا العصر، ويجب أن يكون واضحاً في نقل الرسالة، ومميزاً في التعبير عن المقصود، وجذاباً غير ممل،

ومنفتحاً على إنجازات العصر.

● برأيكم؛ ما أهم أولويات الخطاب الديني للمسلمين بالدول غير الإسلامية (الأقليات المسلمة) حول العالم في عصرنا الحالي؟

- الحديث عن أولويات الخطاب الديني للمسلمين بالدول غير الإسلامية (الأقليات المسلمة) حول العالم ينبغي أن يتم على ضوء مبادئ الدعوة الإسلامية كأساس وأصل ثابت في كل ما يتعلق بالقضايا الإسلامية أولاً، وثانياً على ضوء المتغيرات على الساحة الدولية عامة، وداخل كل مجتمع بعينه خاصة، والأخذ بعين الاعتبار لأهمّ المتغيرات على الساحة الداخلية في كل مجتمع والخارجية ذات الأثر على المجتمعات المسلمة في الغرب، لنصل بعد ذلك إلى صورة أكثر مصداقية لأولويات الخطاب الديني للمسلمين بالدول غير الإسلامية حول العالم في ضوء هذه المتغيرات، وما هو مطلوب من المسلمين.

والحديث عن هذا الأمر مرتبط ارتباطاً وثيقاً بواقع المجتمعات المسلمة في الغرب من حيث وجودها وهمومها وأثرها، والعوامل التي لها أثر على الوجود الإسلامي، وعلى تطور هذه المجتمعات المسلمة في ظل الواقع المباشر وطبيعة الحياة في العالم المعاصر المتغير بسرعة مذهلة، وكذلك الخصائص الثقافية والحضارية للمجتمع المعني.

وعليه؛ فإن الخطاب الإسلامي ينبغي أن يكون حكيماً، ومقنعاً، ودقيقاً، وواضحاً، وعميقاً، ومبرهناً في التعبير عن نفسه، ومراعياً للواقع المحيط به، ومستخدماً وسائل مختلفة.

وفيما يلي نسجل بعض ما نراه كأولوية للخطاب الديني للمسلمين في الغرب:

١- أن يكون الخطاب الديني منفتحاً على المجتمع، وأن يعبر بوضوح وعقلانية عن طبيعة معتقدات المجتمعات المسلمة وحقيقة مواقفها.

٢- أن يطرح قضايا فكرية واجتماعية تتعلق بالإسلام والمسلمين وتحتاج إلى بيان وإيضاح.

٣- أن يطرح قضايا فكرية عامة التي لا تهم الجماعة الإسلامية فحسب، بل المجتمع بأسره.

٤- أن يعامل الخطاب الإسلامي المسلمين بمنطق المواطن العادي في المجتمعات الغربية، وليس بمنطق المهاجر الذي يرى نفسه دائماً أجنبياً عن المجتمع الذي انتقل إليه؛ أي التأكيد على المواطنة؛ حقوقاً وواجبات.

٥- في ظل الحملات التي تشوّه صورة الإسلام والمسلمين بناء على دعوات تأتي ممن ليس مرجعاً دينياً مقبولاً وموثوقاً به لدى المسلمين، فمن أولويات الخطاب الديني للمسلمين في الغرب أن يعمل على ترسيخ الفهم الإسلامي الوسطي.

٦- على الخطاب الديني للمسلمين في الغرب التوجه الواضح فيما يتصل بالجوانب التربوية والروحية والخلقية.

لا بد للخطاب الديني بالغرب مراعاة التعددية الدينية والفكرية والحرية في الاعتقاد والتعبير

يجب إجراء حوار بين الدعاة في كل دولة للنقاش حول القضايا التي تهم الأمة

٧- أن يؤسس لبناء شخصية إسلامية تنطلق من مبادئ الإسلام، وتعتني بمقتضيات الاندماج الإيجابي في المجتمع، مقتنعاً أنه ليس هناك تعارض بالنسبة للمسلم بين ما عليه من واجب الولاء لدينه، وما يقتضيه منه عقد المواطنة الصالحة.

٨- لا بد له أن يراعي التعددية الدينية والفكرية في المجتمعات الغربية، وحق الحرية في الاعتقاد والتعبير كمكون أساسي ومركزي للمنطق وللثقافة الغربية، وينتج عن هذا الاتجاه تفعيل الحوار مع أصحاب الديانات الأخرى، وهو أيضاً لا يخرج عن فقه القرآن لمحاورة أهل الكتاب بالتي هي أحسن.

٩- ومن أولوياته الجواب عن عدد من القضايا والتساؤلات المثارة في الساحة الغربية، التي تنتظر أجوبة واضحة ومقنعة، ومن بين هذه القضايا: الموقف من الآخر، وحقوق غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية، والحرية الدينية، وما يسمى بـ«الإسلام السياسي»، أو علاقة الدين بالسياسة في الإسلام، ومسألة تطبيق الشريعة الإسلامية في ظل مجتمعات غير إسلامية، قضية المرأة ومساواتها مع الرجل وحريتها.. وغير ذلك.

● هل تعتقدون أن لكل منطقة جغرافية أولويات خاصة (إضافية) لخطابها الديني؟ وماذا عن ذلك لمسلمي سويسرا؟

- نعم، أعتقد بأن لكل منطقة جغرافية على مستوى القارة، وكذلك على مستوى الدولة أولويات خاصة وفقاً لخصوصية الواقع والبيئة التي تعيش فيها كل أقلية مسلمة.

بالنسبة لحالة سويسرا، فمن أولويات الخطاب الديني التعرض لمسائل اجتماعية؛ مثل العمل والبطالة وموقف الإسلام من الخيانة في قضايا اجتماعية، وعدم الصدق مع الجهات الرسمية بالنسبة للعمل والبطالة والاستفادة من التعويضات والمساعدات الحكومية للعاطلين عن العمل، وكل ذلك حتى لا يكون هناك تجاوز للخطوط المسموحة في هذا المجال، وفي الآونة الأخيرة هناك شكوك من الجهات الرسمية في سويسرا فيما يتعلق بالمستفيدين للمساعدات الحكومية للعاطلين عن العمل، والتعويضات بسبب المرض وغيرها.

وهناك تساؤلات حول حقيقة العاطلين عن العمل، وباب سؤالهم: هل هم لا يجدون عملاً، أم لا يجتهدون للحصول على العمل ولا يبحثون عنه؟ كذلك بالنسبة للمستفيدين من التعويضات بسبب المرض؛ هل هم حقيقة مرضى إلى حد لا يمكن معه العمل، أم هناك غش وخداع في هذا الأمر؟

بناء عليه، الخطاب الديني ينبغي أن يتناول هذه الموضوعات المثارة على أرض الواقع من وجهة النظر الإسلامية؛ حتى لا يظن أحد أن الإسلام يوجه أصحابه لهذا التعامل «السلبي» بناءً على أن المجتمع السويسري والأوروبي بشكل عام مجتمع غير مسلم!

● بناء على ما سبق، ووفقاً لمسؤوليتكم الدعوية/ الإدارية عن شريحة مهمة من الأئمة (الألبان) في سويسرا، كيف يمكن ضبط الخطاب الديني للأئمة والدعاة والتزامه بهذه الأولويات؟ وهل من تجارب عملية لكم في هذا المسار؟

– هناك عدة طرق لتحقيق هذا الأمر، وأرى أن على كل منطقة؛ أي على المسؤولين عن العمل الإسلامي والممثلين للمسلمين في مختلف الدول، أن يحددوا كيفية وضع وسائل عملية لتحقيق هذا الأمر.

نحن في سويسرا تحت مظلة اتحاد أئمة الألبان في سويسرا نحقق هذا عن طريق إقامة دورات للأئمة لضبط الخطاب الديني؛ وكذلك تزويدهم باستمرار بتوجيهات حول قضايا ساخنة على الساحة الداخلية والخارجية التي تحتاج إلى توضيح، عادة تُذكر بعض النقاط المهمة التي ينبغي أن تراعى خلال طرح الموضوع أمام الناس والأمور التي ينبغي الحذر في التعامل معها.

ويمكن أن تكون هناك وسيلة مهمة في هذا الاتجاه؛ وهي تحضير خطب منبرية ونشرها قبل يوم الجمعة في الصفحات والمواقع الخاصة بالمساجد أو المنظمات الإسلامية.

● ما مقترحاتكم للأئمة والدعاة في العالم لتحديد أولويات خطابهم الديني أولاً، ثم الالتزام بذلك ثانياً على المستوى العملي في دروسهم وخطبهم؟

– لا يمكن أن يتم ذلك دون الآتي:

أولاً: إجراء حوار داخلي داخل المجتمع المسلم في كل دولة، خاصة بين القائمين والمسؤولين على المراكز أو المساجد أو المنظمات الإسلامية، لا بد من القيام بنقاش بنّاء وجدي وموجه حول الخطاب الإسلامي والقضايا التي تهم الأمة المسلمة خاصة في الغرب بين الرموز الإسلامية في الغرب من ناحية، وبينهم وبين علماء ومفكرين مسلمين في العالم الإسلامي.

ثانياً: تكوين منظمة إسلامية تضم كل أو معظم المنظمات والمراكز الإسلامية والمساجد، وكذلك شخصيات إسلامية مستقلة، الذين لهم جهود ولو فردية في العمل الإسلامي في المنطقة المعنية، وهذه المنظمات تسمى «المنظمة المظلة» أو «الاتحاد» أو «رابطة»، وضمن هذه المنظمة الظل تشكل لجان من مختلف كوادرها تهتم بقضايا تشغل بال الجماعة لإسلامية في المجتمع المعني، ويبقى الأمر المهم هو تأهيل الدعاة والأئمة عن طريق إقامة دورات لكي يواجهوا التحديات بنجاح ويؤدوا دورهم على الوجه الأكمل.■

شدد الشيخ كفاح مصطفى، الإمام والمدير العام للمركز الإسلامي للصلاة بشيكاغو، ورئيس تجمع الأئمة في ولاية إلينوي، وممثل دار الفتوى اللبنانية في أمريكا؛ شدد على أهمية أن يتضمن الخطاب الديني العام للمسلمين بالدول غير المسلمة الأسس الإنسانية التي تضمنتها الشريعة الإسلامية التي تحث على التعارف والتواصل والتعاون بين الشعوب الإنسانية، على أسس الاحترام المتبادل والتعاون على تحقيق المنفعة لجميع أبناء المجتمع الواحد من مختلف أتباع الديانات.

جاء ذلك خلال حواره مع «المجتمع»، حول أولويات الخطاب الديني العام للمسلمين بالدول غير المسلمة (أمريكا نموذجاً).

● بداية؛ ما الأسس العامة الأساسية التي ينبغي أن يُبنى عليها أي خطاب ديني إسلامي عام في كل زمان ومكان؟

– ينبغي أن يراعي الخطاب الديني العام محورين رئيسين:

أولاً: تعظيم الله لا الإنسان:

وهذا كان واضحاً في الخطاب لأهل الكتاب: (تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ) (آل عمران:٦٤)، حتى إن استخدام لفظ «تعالوا» ليس فيه معنى الإتيان فقط، إنما معنى التعالي فوق ربوبية الناس بعضهم لبعض؛ إذ لا تتحقق إلا بإعلان أن الجميع عباد لله.

ومن هنا نفهم ما قاله ربعي بن عامر: «لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد».

ثانياً: الدعوة إلى مكارم الأخلاق:

يغفل الكثيرون عند دراسة السيرة أنه لولا الأربعون سنة قبل البعثة بصفة «الصادق

المدير العام للمركز الإسلامي للصلاة بشيكاغو لـ«المجتمع»:

احترام الإنسان والتعارف والمواطنة.. أولويات خطابنا الديني

الأمين» (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾) (القلم)؛ لما قَبِلَ الناسُ نبوة محمد ﷺ.

وهذه خديجة رضي الله عنها تثبّت قلب ﷺ وتجعله أهلاً لاستلام مشعل النبوة بوصف أخلاقه: «إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحياة».

ثم هذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يشرح ما قبل وبعد الإسلام بمنظومة الأخلاق: «كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، دعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام».

● برأيكم، وفي هذا العصر، ما أولويات الخطاب الديني للمسلمين بالدول غير الإسلامية (الأقليات المسلمة) حول العالم؟

– في المجتمعات التي يعيش فيها المسلمون كأقلية، يلزمهم مراعاة ثلاثة محاور رئيسة في خطابهم الديني العام؛ وهي:

أ- احترام الإنسان: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) (الإسراء:٧٠)، والملاحظ أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم كانت دعوة خدماتية لحاجات البشر، وذلكم كان روح الشريعة رفع الضرر وجلب المصالح.

ب- التعارف: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات:١٣)؛ فالتعارف يولد الثقة، والثقة تحصد الأمان بين الناس.

جـ- المواطنة الواحدة: (وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ) (الأعراف:٢٤)؛ وذلك من خلال تبني قضايا المجتمع الواحد، والوقوف أمام المفاسد كالجريمة، والدعوة إلى الحقوق المدنية للناس عامة؛ كفرص العمل والسكن والعلاج وغيرها من متطلبات الناس الأساسية.

> **لولا الأربعون سنة قبل البعثة بصفة «الصادق الأمين» لما قَبِل الناس النبوة**
>
> **على المسلمين بالغرب مراعاة احترام الإنسان والتعارف والمواطنة**
>
> **على الدعاة التواصل مع المؤسسات التعليمية والدينية والحكومية**

● وهل تعتقدون أنه ربما يكون لكل منطقة جغرافية أولويات خاصة (إضافية) لخطابهم الديني في منطقتهم؟

– نعم هذا صحيح، ومجرد الإشارة إلى دائرة المصالح الخاصة المشتركة في المنطقة الواحدة يفي بالغرض، ويوصل رسالة الإسلام إلى الناس التي تحث على التعارف والتعاون لما فيه خير الناس جميعاً.

● بحسب تجربتكم الخاصة، كيف يمكن للأئمة والدعاة توصيل هذا الخطاب الديني للآخر بكل وضوح؟

– هناك مستويات متعددة للتواصل مع الآخر بهدف توصيل رسالة الإسلام صافية واضحة صحيحة وفق هذا الخطاب؛ وأهمها:

أ- التواصل مع المؤسسات التعليمية: من خلال فتح أبواب المساجد لغير المسلمين للتعرف على الإسلام ولو من خلال العادات والتقاليد، والاهتمام بدعم الأنشطة التعريفية بالإسلام في الجامعات من قبل مؤسسات الطلبة المسلمين، وتفريغ الوقت لزيارة المدارس والجامعات وإعطاء ندوات عن الإسلام الصحيح.

ب- التواصل مع الهيئات الدينية: من خلال حوار الأديان الخدماتي للمجتمع لا المناظراتي لإثبات ما الديانة الصحيحة، وبهذا تتحقق رسالة الإسلام في التعاون في المشتركات الإنسانية التي تراعي مصالح الناس من مختلف أتباع الديانات.

جـ- التواصل مع المؤسسات الحكومية: لتفعيل دور المسلم في الحفاظ على أمن البلد، والارتقاء بالمجتمع في كافة المجالات الحياتية.■

نائب سكرتير مجلس الأئمة بولاية فيكتوريا الأسترالية لـ«المجتمع»:

التركيز على الواقع.. أولى أولويات الخطاب الديني للأقليات المسلمة

شدد الشيخ علاء الزقم، إمام وخطيب مركز أبو بكر الصديق الإسلامي في ميلبورن بأستراليا، ونائب سكرتير مجلس الأئمة بولاية فيكتوريا بأستراليا، على أن أولى أولويات الخطاب الديني للأقليات المسلمة حول العالم التركيز على واقعهم ومناقشة احتياجاتهم؛ وهو ما يتطلب من الدعاة والأئمة التعرف على واقع المسلمين في مجتمعاتهم والإلمام بالتحديات التي تواجههم.. وذكر أيضاً أن للخطاب الديني ٥ أسس رئيسة يرتكز عليها؛ هي: الداعية وثقافة المدعو ووسيلة الدعوة ونوعية الخطاب وهدف الخطاب.

جاء ذلك خلال حواره مع «المجتمع» حول أولويات الخطاب الديني العام للمسلمين بالدول غير المسلمة (أستراليا نموذجاً).

لا بد أن يجمع الداعية بين العلم الشرعي والرؤية العصرية والفهم الجيد للواقع

● بداية؛ ما الأسس العامة الأساسية التي ينبغي أن يُبنى عليها أي خطاب ديني إسلامي عام في كل زمان ومكان؟

- يرتكز الخطاب الديني على أسس خمسة رئيسة يُبنى عليها ويكون شاملاً وله أثر في عقل وقلب المُتلقي لهذا الخطاب؛ وهي:

أ- الخطيب أو الداعية: وهو الركن الأول والأهم، ولا بد أن يكون عالماً يجمع بين العلم الشرعي والرؤية العصرية والفهم الجيد لواقع المجتمع الذي يعيش فيه؛ حتى يدعو إلى الله عز وجل على بصيرة، كذلك لا بد في هذا الداعية أن يدرك قيمة التكليف والتشريف كونه مبلّغاً عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ الأمر الذي يقتضي أن يكون هذا الداعية أميناً فيما يقول، حكيماً في رأيه، مخلصاً في دعوته لله عز وجل، صبوراً على تحمل المشاق، وقدوة لغيره بفعله، عاملاً بما يقول وينصح به غيره.

ب- ثقافة المخاطَب أو المدعو: ولا شك في أن من يُوجّهُ لهم الخطاب أو من يُراد دعوتهم متفاوتون في ثقافتهم وفهمهم للخطاب، فلا بد للداعية أن يراعي في خطابه ما يناسب ثقافة وحال من يخاطبهم حتى يكون للخطاب نتيجة وأثر في نفس وعقل المتلقي له.

جـ- وسيلة الخطاب أو منهاج الدعوة: الوسيلة الأمثل والمنهاج الأصوب هو الأسلوب النبوي في تربية ذلك الجيل الفريد من الصحابة رضوان الله عليهم، وأسلوب الصحابة

والتابعين بإحسان، فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها من أي وعاء خرجت، أما كيفية الاستناد؛ فالمرجع فيها هو القرآن، والسيرة النبوية في مكة والمدينة، والسُّنة النبوية عموماً، فتكون هذه الأصول أساساً لمنهج تربوي تفصيلي يُعلي من شأن الجانب الروحي والخُلقي والفكري والعملي، في خطوط متوازية متكاملة تكوّن تلك الشخصية المسلمة المتكاملة.

وهذا المنهج يعتمد اعتماداً كلياً على الكيفية التي يكون بها والتي لا بد أن تكون كما خاطب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم قائلاً: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (النحل).

د- نوعية الخطاب أو كيفيته: لا بد أن يدرك الداعية أن مكان الدعوة وزمانها له أثر كبير في نوعية خطابه، وإن تغافل الداعية عن هذين الأمرين المهمين سوف يفشل فشلاً ذريعاً في الوصول إلى عقول وقلوب المُخاطَبين، وسوف يكون خطابه عقيماً لا علاقة له بواقع وحال الناس وقضاياهم المعاصرة التي يواجهونها.

هـ- هدف الخطاب أو العائد منه: إعداد جيل مسلم معلّم يكون هو ركيزة الإسلام ومستقبله وبخاصة في هذا الزمان الذي يُحارب فيه الإسلام، جيل أساسه الأخلاق والعلم، يدعو إلى الله عز وجل على خطى ثابتة، جيل يجمع بين الدين والعلم، ويؤمن بأن رسالة الإسلام شاملة كاملة جاءت لتشمل جميع جوانب الحياة من روحي وأخلاقي وعلمي وعملي وفكري واقتصادي وسياسي وحضاري، وأنه لا سعادة حقيقية ولا هداية للإنسان إلا إذا كان الدين بالنسبة له أسلوب حياة وجزءاً لا يتجزأ من أي عمل يقوم به.

● ما أولويات الخطاب الديني للأقليات المسلمة حول العالم بشكل عام، ولمسلمي أستراليا بشكل خاص؟

– باعتباري داعية مسلماً يعيش في أستراليا، أعتقد بأن الأولويات الآن بالنسبة للخطاب الديني للأقليات المسلمة في البلاد غير الإسلامية ينبغي أن يركز على الواقع الذي يعيشه المسلمون في هذه البلاد من قضايا فقهية معاصرة يواجهونها، ولا بد لهذا الخطاب أن يناقش الأمور والأحكام المتعلقة بالعيش المشترك بين المسلمين وغير المسلمين، ومشاركة المسلمين إيجاباً في هذه البلاد في الحياة الاجتماعية والسياسية دون إغفال الدين وتعاليمه، وتوعية المسلمين بأن يكونوا قدوة ونموذجاً يمثل الدين الإسلامي في هذه البلاد، واستحضار الأدلة والنماذج من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لذلك.

كذلك من أولويات الخطاب الديني أن يناقش التحديات والصعوبات التي تواجه الأقليات المسلمة في هذه البلاد، وكيفية التغلب عليها وإيجاد الحلول لها، وأيضاً ما يتعلق بالأسرة وتربية الأولاد في هذه البلاد والتحديات المتعلقة بهذا الأمر.

كذلك لا بد من خطاب موجه لغير المسلمين يوضح رفض الإسلام للعنف والاعتداء على الأبرياء، وسماحة الإسلام مع من لا ينتمون إليه، وتوضيح كيف أمر الإسلام أتباعه بحسن المعاملة والبر والقسط مع من يعيشون في سلام معنا في هذه البلاد.

للخطاب الديني خمسة أسس هي الداعية وثقافة المدعو ووسيلة الدعوة ونوعية الخطاب وهدفه

هدف الخطاب الديني يجب أن يكون إعداد جيل مسلم يمثل ركيزة الإسلام ومستقبله

● وهل ترون بأنه ربما تكون لكل منطقة جغرافية أولويات خاصة لخطابهم الديني وفقاً لخصوصية الواقع والبيئة التي تعيش فيها كل أقلية مسلمة؟

– أثبت من خلال معايشة المسلمين في بلاد الغرب أن المسلمين في معظم هذه البلاد يشتركون جميعاً في نفس الواقع والبيئة، وكذلك القضايا التي يواجهونها، إلا أن المسلمين في بعض هذه الدول كان لهم السبق في مناقشة بعض القضايا الخاصة بالمسلمين هناك؛ كمسلمي أوروبا وأمريكا بالمقارنة مثلاً بنا نحن المسلمين في أستراليا؛ لكون الإسلام حديث النشأة بأستراليا مقارنة بهم.

ولهذا فنحن كأئمة ومنظمات إسلامية مثل مجلس الأئمة على تواصل مع العلماء والفقهاء الثقات والمجامع الفقهية من مختلف البلاد الأوروبية المشتركة معنا في نفس الواقع لمناقشة قضايا المسلمين بها؛ وبالتالي يمكن القول: إن الأولويات تقريباً واحدة.

● وبناء على ما سبق، كيف يمكن ضبط الخطاب الديني للأئمة والدعاة والتزامه بهذه الأولويات؟ وهل من تجارب عملية لكم في هذا المسار؟

– في الحقيقة، ضبط الخطاب الديني للأئمة والدعاة والتزامه بهذه الأولويات أصبحت مسؤولية كل داعية وإمام في بلاد الأقليات المسلمة لحاجة المسلمين الشديدة لمناقشة هذه الأمور، وكما ذكرنا من قبل عن بعض مقومات الداعية المؤثر الناجح واحتياجه لأن يكون على دراية بفقه الواقع الذي يعيش فيه،

وكذلك مقومات الخطاب الديني المؤثر واحتياجه لأن يكون مرتبطاً بمكان وزمان وواقع الناس، فإن أي داعية على صلة بواقع وأحوال الناس سيجد حتماً أن هذه القضايا التي ذكرنا بعضها على سبيل المثال من الأولويات التي لا بد أن يتضمنها الخطاب الديني للمسلمين في هذه البلاد، وإلا خرج الخطاب الديني عن مقتضى الحال؛ الأمر الذي يفقده تأثيره ورونقه وانجذاب العقول والقلوب إليه.

وحتى نضمن التركيز على هذه الأولويات في الجالية المسلمة في أستراليا؛ فإن مجالس الأئمة في مختلف الولايات تجتمع بصفة دورية شهرية - وربما أقل إن تطلب الأمر - لمناقشة هذه القضايا التي يواجهها المسلمون في حياتهم، وكذلك الاطلاع على الأبحاث التي تناقشها المجامع الفقهية والمنظمات الإسلامية فيما يتعلق بقضايا المسلمين في هذه البلاد؛ الأمر الذي بالطبع ينعكس على الخطاب الديني الموجه من قبل الأئمة للجالية المسلمة، ويتم أيضاً التشاور مع الأئمة والدعاة للاتفاق على مناقشة هذه القضايا المعاصرة والأولويات في الخطب والمحاضرات.

● ما مقترحاتكم للأئمة والدعاة في العالم لتحديد أولويات خطابهم الديني أولاً، ثم الالتزام بذلك ثانياً على المستوى العملي في دروسهم وخطبهم؟

- لا بد لكل إمام أو داعية أن يضع أمامه الهدف من هذه الدعوة ومن الخطاب الذي يلقيه، فالأمر ليس فقط كلاماً يقال في المحاضرات والخطب والدروس، ولكن لا بد لكل داعية أن يسأل نفسه عن نتيجة ذلك الخطاب ومدى تأثيره في عقول وقلوب من يتلقاه، كيف سيستفيد منه في حياته؟ وكيف سيربط بهذا الخطاب الديني بين دينه وواقعه؟ وكيف سيغير هذا الخطاب من حياة من يتلقاه إلى الأفضل؟ كل هذه الأمور لا بد من اعتبارها عند توجيه الخطاب الديني، ولا يكون ذلك إلا إذا كان الداعية على علم بما يحتاجه الناس وبما يواجهونه في واقعهم من قضايا.

كذلك لا بد أن يثقف الداعية نفسه عن المجتمع الذي يعيش فيه في هذه البلاد ثقافة سياسية واقتصادية واجتماعية وعلاقات خارجية؛ لارتباط ذلك بالقضايا الدينية ارتباطاً وثيقاً.

أما موضوع الالتزام بهذه الأولويات؛ فيكفي أن كل داعية يعلم أولاً أنه أمام مسؤولية عظيمة وكبيرة سَيُسأل عنها أمام الله عز وجل؛ تتطلب منه أن يكون حريصاً أشد الحرص على اختيار ما يخاطب الناس به، ليس ذلك فقط، بل ونتيجة ذلك الخطاب الديني وتأثيره في حياة وواقع هؤلاء الناس، كذلك أيضاً بالتنسيق مع مجالس الأئمة والدعاة والمجالس الإسلامية للحديث عن هذه الأولويات وإمدادهم بما يحتاجون إليه من مراجع وأبحاث ودورات تدريبية وورش عمل للأئمة عن القضايا المعاصرة، وكيفية عرضها وتضمينها في الخطاب الديني على مدار العام.■

على الخطاب الديني بالغرب مناقشة الأحكام المتعلقة بالعيش المشترك بين المسلمين وغيرهم

لا بد من خطاب موجه لغير المسلمين يوضح رفض الإسلام للعنف والاعتداء على الأبرياء

في ذكرى إحراق المسجد الأقصى..

مشاهد لا يمحوها الزمن من ذاكرة المقدسيين

القدس المحتلة: مصطفى صبري

لا يزال المسن سعيد المغربي القاطن في حوش المغاربة قبالة بوابة حائط البراق الإلكترونية يتذكر حادثة إحراق المسجد الأقصى في ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، ونقله الماء في الأواني البلاستيكية، والصناجر لإطفاء الحريق المتعمد بحق المسجد القبلي.

قال الحاج سعيد المغربي لـ«المجتمع» خلال اتصال معه: بالرغم من مرور ٤٨ عاماً على الحريق؛ فإنه ما زال شاخصاً أمامي كأنه اليوم أو يوم أمس، فوجع الحادثة نقش في قلوبنا وعقولنا ولا أستطيع نسيان ما جرى، فأنا عشت نكسة حي المغاربة في الساعات الأولى من احتلال المدينة وكان عمري وقتها ١٧ عاماً، وشاهدت جرافات الاحتلال وهي تهدم بيوتنا في ساحة البراق وحولتها إلى أكوام من التراب، رحلت من المكان فوراً، وبعدها بعامين كان الحريق المتعمد للمسجد الأقصى من قبل مستوطن تم تسهيل مهمته من قبل جنود الاحتلال، وبعدها في عام ١٩٨١م حادثة تفجير قبة الصخرة واستشهاد الشهيد صالح اليماني عند الباب الرئيس لقبة الصخرة، وفي هذا العام بلغ حرق المسجد الأقصى أوجه في الرابع عشر من يوليو الماضي وإغلاقه أمام المسلمين والعبث بمحتوياته، فهذا أشد إيلاماً من الحرق، فحادثة الرابع عشر من يوليو الماضي حرقت قلوبنا، وحادثة عام ١٩٦٩م حرقت منبر صلاح الدين وأروقة المسجد القبلي.

وأضاف المقدسي المغربي قائلاً: أتذكر كيف قمنا بعمل سلسلة بشرية طويلة لنقل الماء إلى المسجد القبلي من باب المطهرة ومن منطقة الكأس، فالحريق كان هائلاً ومتعمداً، والاحتلال تظاهر بأن المهاجم مريض نفسياً.

مشاهد لا تنسى

ويضيف المسن سعيد المغربي: بعد أن خمد الحريق كانت المناظر تقشعر لها الأبدان، فمنبر صلاح الدين لم يبقَ منه إلا الحطام والمحراب تشوه والأسقف الخشبية انهارت، والقبة الرئيسة تشوهت، والسواد كان يغلف المكان من آثار الحريق، فكل شيء أصيب بالدمار.

ويتابع المغربي حديثه قائلاً: منذ احتلال القدس والمسجد الأقصى، يقوم الاحتلال بحوادث لجس نبض المسلمين، وكان آخرها وضع البوابات الأمنية والكاميرات، وفشل في هذه القضية فشلاً ذريعاً، فجيل اليوم لا يقوم بتمرير المؤامرات، لذا كان الرباط على أبواب المسجد الأقصى ورفض المقدسيين التعامل مع الاحتلال في هذه القضية رافعة قادت إلى انتصار، ولو كانت الهمة عام ١٩٦٩م مثل همة هذه الأيام لما تجرأ الاحتلال على المسجد الأقصى وأهله.

أما ماهر أبو السعود، الذي يقطن قرب باب السلسلة ويجاور مقر الهيئة الإسلامية العليا، فيقول لـ«المجتمع»: في ذكرى حرق المسجد الأقصى يجاور منزلي عدة عائلات من المستوطنين، حيث تحرق قلوبنا بشكل يومي، ونشاهد المقتحمين من المستوطنين يومياً وهم يخرجون من المسجد الأقصى بعد تنفيذ الاقتحام وهم ينشدون لدولتهم وتلمودهم مستفزين أهالي القدس في حي السلسلة، وأتذكر الحريق بشكل عام، حيث كان عمري ١٢ عاماً، وأذكر صراخ أهالي القدس وهم يتوجهون للمسجد الأقصى لعملية الإطفاء، واليوم أشاهد من يدنس المسجد الأقصى.

أما الحارس مراد الدجني فيقول لـ«المجتمع»: كنت وقتها صغيراً، فعائلتي تسكن بالقرب من باب القطانين، وكان الحريق هزة لنا جميعاً، فكل من في القدس حضر إلى ساحات المسجد الأقصى، وكان تصرف الاحتلال واضحاً، تعمد إعاقة الإطفاء حتى ينتهي الحريق إلى أقصى حد من التدمير، إلا أن أهالي القدس هبوا لنجدته كما يهبون في كل وقت، فهم خط الدفاع الأول عنه، ولا تعويل على جهة مهما كانت.■

الجامعات الخاصة.. عبء اقتصادي جديد على كاهل الأسرة المصرية

عقب نتيجة الثانوية العامة تبدأ الأسر المصرية الدخول في صراع جديد ومعاناة لا تنتهي مع التعليم ورغبات أولادهم والكليات المتاحة أمامهم ونظام التنسيق الذي يحرم أبناءها من تحقيق رغبتهم؛ فتتجه للجامعات الخاصة كحل بديل رغم الإرهاق المادي الكبير؛ حيث المغالاة الكبيرة في رسوم هذه الجامعات، خاصة «كليات القمة» كما تسمى بمصر؛ ومنها الطب والصيدلة والهندسة، حيث تفوق الرسوم طاقات الكثير من الأسر خاصة أنها تكون خارجة لتوها من «ماراثون» الثانوية العامة ودروسها الخصوصية.

القاهرة: أحمد عبدالعزيز

سوء التعليم الحكومي وحرص الأسر على تعليم أولادها سبب المعاناة

٦٥ ألف جنيه للطب و٥٠ ألفاً للأسنان و٣٥ ألفاً للعلاج الطبيعي

القزاز: الدولة هي المسؤول الأول عن التنمية التعليمية والإنفاق على هذا الملف

الخصخصة وسحب الدعم تطبيقاً لمطالب صندوق النقد الدولي أحد أسباب الأزمة

عبر عدد من الخبراء في تصريحات لـ«المجتمع» عن رفضهم لهذه المغالاة من جانب هذه الجامعات، متهمين إياها بالمتاجرة، ومطالبين الدولة بالتدخل لضبط الأمور وعدم تركها للانفلات، وتحول الأمر إلى نوع من المتاجرة من جانب هذه الجامعات، مع الاهتمام - في المقابل - بتطوير التعليم الحكومي والاهتمام به والتوسع في إنشاء الجامعات حتى لا يكون المواطنون وأبناؤهم عرضة للمتاجرة بهم وبمستقبلهم عبر «مافيا» التعليم الخاص، خاصة التعليم الجامعي.

وإذا تناولنا رسوم هذه الجامعات نكتشف مدى المغالاة من جانبها، خاصة أنها رسوم للعام الواحد، وتأثير ذلك على الأسر ودخلها المحدود التي ترغب في تعليم أفضل لأولادها رغم ضيق ذات اليد، ولكنها تحاول تلبية رغبة أبنائها؛ وهو ما تستغله هذه الجامعات بشكل مبالغ فيه.

فعلى سبيل المثال؛ في جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، مصروفات كلية الطب ٦٥ ألف جنيه مصري، وكلية طب الأسنان ٥٠ ألف جنيه، وكلية العلاج الطبيعي ٣٥ ألف جنيه.

أما جامعة ٦ أكتوبر، فمصروفات كلية الطب والجراحة في السنة الأولى ٦٥ ألف جنيه، وطب الأسنان ٤٣ ألف جنيه، وكلية العلاج الطبيعي ٣١ ألف جنيه.

وفي جامعة الأهرام الكندية، بلغت مصروفات كلية طب الفم والأسنان ٦٠ ألف جنيه للطلاب المصريين، و٨ آلاف دولار للطلاب الوافدين، أما في الجامعة الروسية فقد جاءت مصروفات كلية طب الفم والأسنان ٤٢ ألفاً و٣٥٠ جنيهاً، أما مصروفات كلية طب الفم والأسنان بالجامعة البريطانية ٦٠ ألف جنيه.

ومصروفات جامعة فاروس كلية طب الأسنان ٥٣ ألف جنيه، أما كلية العلاج الطبيعي ٣٦ ألف جنيه، ومصروفات كلية طب الأسنان في جامعة النهضة ٦٥ ألفاً و٥٩٥ جنيهاً، ومصروفات طب أسنان جامعة المستقبل ٦٦ ألف جنيه.

أما بخصوص مصروفات كليات الصيدلة الخاصة؛ ففي جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا ٤١ ألف جنيه، وجامعة ٦ أكتوبر ٤٣ ألف جنيه، وجامعة الأهرام الكندية ٥٠ ألف جنيه، والجامعة الروسية ٣٥ ألف جنيه، أما الجامعة البريطانية فبلغت ٥٨ ألف جنيه، وجامعة فاروس ٥٥ ألف جنيه، وجامعة المستقبل ٥١ ألف جنيه، وجامعة النهضة ٥٣ ألفاً و١٣٠ جنيهاً.

تنسيق متقارب

وتأتي هذه المغالاة رغم أن تنسيق هذه الكليات لا تقل مؤشرات القبول بها بفارق كبير خاصة المجموعة الطبية، فطبقاً للقواعد التي اعتمدها مجلس الجامعات الخاصة، للعام الجامعي الجديد ٢٠١٨/٢٠١٧م، فقد جاء الحد الأدنى للتقدم للطلاب المصريين على النحو التالي:

٩٥٪ الطب البشري، و٩٠٪ كليات طب الأسنان والصيدلة والعلاج الطبيعي، و٨٠٪ الهندسة، ٧٠٪ الفنون التطبيقية، والعلوم الطبية التطبيقية، و٧٠٪ علوم الحاسب، والتكنولوجيا الحيوية، و٦٥٪ كليات الاقتصاد والعلوم السياسية، والإدارة، واللغات والترجمة، والإعلام، ٥٥٪ باقي الكليات.

وطبقاً لهذه المؤشرات، فالفارق في درجات القبول بين كليات الجامعات الحكومية والخاصة ليس كبيراً قياساً بالأموال المُبالغ فيها التي تأخذها الجامعات الخاصة.

الأسر تتحمل الإخفاق:

وتعليقاً على هذا الواقع وهذه

المعاناة التي تعاني منها الأسر المصرية، يقول د. يحيى القزاز، الأستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة، لـ«المجتمع»: الأسرة المصرية معروف عنها اهتمامها بالتعليم، وهي تنفق على هذا الأمر أموالاً كبيرة سواء التعليم الحكومي من خلال الدروس الخصوصية أم التعليم الخاص، وهذا الاهتمام الكبير والرسوم المُبالغ فيها التي تدفع يكون السبب فيها أموراً عدة؛ منها محاولة الحصول على وظيفة، أو الوجاهة الاجتماعية، أو محاولة الحصول على فرصة سفر في ظل ظروف اقتصادية وبطالة تعاني منها البلاد؛ ولهذا تكون الأسرة مستعدة للإنفاق ودفع الرسوم المطلوبة منها من أجل تحقيق رغبة أبنائها للأسباب المشار إليها.

ويضيف د. القزاز: المفروض أن الدولة هي المسؤول الأول عن التنمية التعليمية والإنفاق على هذا الملف وتحقيق الجودة فيه، ولكن ما يحدث في الواقع مختلف تماماً؛ وهو ما يجعل الأسرة تتحمل هذا الإخفاق، سواء بسبب تراجع التعليم الحكومي؛ وهو ما يؤدي إلى تحصيل محدود ونتائج غير طيبة، أو من ناحية الإنفاق على أبنائها كبديل للحكومة التي تخلت عن الإنفاق، ويتم هذا عبر الدروس الخصوصية أو رسوم الجامعات الخاصة التي تغالي في رسومها، ويجب على الدولة هنا أن تتدخل أيضاً لوقف تصرفات هذه الجامعات وإلزامها باللوائح والقوانين المنظمة لذلك.

صندوق النقد

أما الخبير الاقتصادي ورئيس المنتدى المصري للتنمية أحمد خزيم؛ فيعبر في حديثه لـ«المجتمع» عن إشفاقه على الأسرة المصرية التي تلهب ظهورها برسوم تعليمية مُبالغ فيها، ودروس خصوصية ونفقات تعليمية كبيرة على أبنائها في ظل تراجع للحكومة عن أداء مهامها في هذا الأمر، خاصة أن هذا الملف المفروض أنه من أولويات أي حكومة، فمعروف في كل دول العالم أن التنمية في البشر والثروة البشرية لدى أي دولة هي أهم الثروات، وهذا يتأتى من خلال التنمية التعليمية والصحية، ولكن الحكومة تخاذلت بشكل واضح في هذا الأمر، وتركت الأسر في مواجهة غير متكافئة مع هذه الجامعات والتعليم ونفقاته بشكل عام.

وربط الخبير الاقتصادي ما يجري في الساحة التعليمية المصرية بعدة أمور؛ منها اتجاه الحكومة لخصخصة كل شيء في مصر، وسحب الدعم في كافة الخدمات تطبيقاً لمطالب صندوق النقد الدولي بعد حصول مصر على القرض الذي طلبته منه؛ وبالتالي لا بد من الاستجابة لشروطه.

يتزامن ذلك مع ظروف اقتصادية صعبة بشكل عام بعد تعويم الجنيه المصري؛ وهو ما انعكس على كل مناحي الحياة في مصر ومن بينها التعليم بالطبع، فضلاً عن عدم الرقابة الجادة من جانب الحكومة على الجامعات والمدارس الخاصة، والضغط عليها للالتزام باللوائح المنظمة، كل هذا أثقل كاهل الأسرة المصرية التي ترى في التعليم نوعاً من الترقي الاجتماعي والحصول على فرصة عمل في ظل غياب شبه كامل لدور الدول في تقديم خدمات تليق بشعبها.

وحول هروب الأسر المصرية إلى التعليم الخاص رغم مصروفاته الكبيرة، يقول الخبير التربوي مرعي إبراهيم لـ«المجتمع»: هناك أسباب عديدة في هذا الأمر؛ منها الفساد الكبير والإهمال المتفشي في التعليم الحكومي، وعدم السعي لإصلاح هذا الخلل من جانب الحكومة وخبراء التعليم بها؛ وهو ما يشعر الأسر بالقلق على مستقبل أبنائهم.

ويضيف مرعي: أيضاً هناك رغبة من الأسرة المصرية في إلحاق أبنائهم بتعليم متميز إلى حد ما للحصول على شهادة تمكنه من وجود فرصة عمل في ظل انتشار البطالة الكبيرة بين خريجي الجامعات والمعاهد؛ وبالتالي يكون السباق في إطار مارثوني بهدف الحصول على مكان في كلية قمة تحقق فرصة عمل وتحقيق حلم أو طموح لأبناء هذه الأسر؛ حيث الأعداد الكبيرة من الخريجين والفرص القليلة في ظل عدم وجود حلول حقيقية من جانب الحكومة سواء لتطوير التعليم الحكومي أو إيجاد فرص عمل حقيقية والقضاء على البطالة.■

تونس: كيف تعاملت الحكومة مع شروط صندوق النقد الدولي؟

تبدو تصريحات وزير المالية محمد فاضل عبدالكافي، التي تراوحت بين الزعم بخلو خزينة الدولة من رواتب الموظفين، كما ذكر ذلك في مجلس نواب الشعب، والتراجع عن ذلك في ندوة صحفية في مقر رئاسة الحكومة، والتأكيد على أن وضع المالية العمومية صعب، ولكن المؤشرات الاقتصادية عرفت نمواً إيجابياً هذا العام، مع الإشارة إلى إمكانية تحقيق نسبة نمو في حدود ٢,٥٪، والتعريج على وضع كتلة الأجور التي ارتفعت من ١٨ مليار دينار سنة ٢٠١٠م إلى ٣٤ ملياراً خلال السنوات الست الأخيرة، فضلاً عن ارتفاع حجم النفقات العمومية، الذي عمق عجز الميزانية.

تونس: عبدالباقي خليفة

• محمد عبدالكافي

يبدو ذلك على علاقة وثيقة بضغط صندوق النقد الدولي من أجل التخفيض في عدد الموظفين بالقطاع العام (٨٠٠ ألف موظف)؛ حيث سبقت تلك التصريحات (٢٥ يوليو) زيارة وفد الصندوق إلى تونس (٢٦ يوليو - ٣ أغسطس) الذي يدفع باتجاه تسريح آلاف الموظفين عبر التقاعد المبكر الاختياري.

ويبدو كذلك أن مبالغة الوزير في تصوير وضع الخزينة، بصورة دراماتيكية، ومن ثم التراجع وتحسين الصورة مع إبقاء الوضع في «غرفة العناية الخاصة» له علاقة بالزيارة وبضغوط صندوق النقد الدولي، إلى جانب مؤثرات سياسية أخرى.

تقليص كتلة الأجور من شروط صندوق النقد الدولي، من أجل صرف قرض على ٨ دفعات تم إسناد دفعتين وبقيت ٦ دفعات، ولا يتم صرف دفعة إلا بعد التأكد من مدى التقدم في تنفيذ الإصلاحات ومنها تخفيض كتلة الأجور، وتعد تلك الأولوية الأولى لدى الصندوق ثم الجباية، ثم الصناديق الاجتماعية.

وقد أشار الممثل الدائم لصندوق النقد الدولي في تونس، «روبرت بلوتوفوغال»، إلى إحراز تقدم في الإصلاحات الكبرى المرتبطة بالوظيفة العمومية والإصلاح الجبائي والصناديق الاجتماعية، لكنه ذكر أن التحديات لا تزال موجودة، مع التأكيد على أهمية التوافق بين النقابات والحكومة فيما يتعلق بتقليص كتلة الأجور.

وخلال السنوات الست الماضية انتقلت كتلة أجور موظفي القطاع الحكومي من ٦,٧٨ مليار دينار (٢,٩٥ مليار دولار) سنة ٢٠١٠م إلى ١٣,٣٨ مليار دينار (٥,٩ مليار دولار)

شروط الصندوق تدفع باتجاه تسريح آلاف الموظفين عبر التقاعد المبكر الاختياري

التقاعد المبكر قد يكون إجبارياً إذا لم يستجب له العدد المطلوب من الموظفين

خلال ٦ سنوات انتقلت كتلة أجور القطاع الحكومي من ٦.٧٨ إلى ١٣.٣٨ مليار دينار

خلال العام الجاري، وهو ما يعادل ٤٥٪ من ميزانية الدولة و١٤٪ من الناتج الداخلي الخام، وارتفعت نسبة التضخم إلى ٥٪.

التقاعد المبكر

إذا كان مشروع التقاعد المبكر في هذه المرحلة اختيارياً، فإنه لا يستبعد أن يكون إجبارياً إذا لم يستجب له العدد المطلوب من الموظفين الذين شارفوا على سن التقاعد، وهناك أرقام ذكرت في أوقات سابقة تراوحت بين ١٢٠ ألفاً و٥٠ ألفاً و٢٥ ألفاً، حسب المستشار الاقتصادي لرئيس الحكومة توفيق الراجحي؛ حيث ذكر في ٢٧ يوليو ٢٠١٧م أنه سيتم تسريح ما بين ٢٠ إلى ٢٥ ألف موظف في إطار سياسة التقاعد المبكر، والالتزام بتجميد الأجور بالقطاع العام إلى حدود عام ٢٠٢٠م.

وقال: الحكومة كانت قد أعلنت أن قانون المالية عام ٢٠١٨م لن يتضمن إقرار أي انتدابات في الوظيفة العمومية، مشيراً إلى أن سياسة التقاعد المبكر هي من البرامج الطوعية وليست إجبارية، وتندرج في إطار سياسة التحكم في كتلة الأجور، خاصة وأن كتلة الأجور في تونس هي من أعلى النسب في العالم، لكن هل ستبقى الحكومة مكتوفة الأيدي وفي انتظار التطوع، وصندوق النقد الدولي ينتظر أن تتحول الاستعدادات والوعود والتوقيع بالالتزام حبراً على ورق؟

وإذا عدنا للحوار الذي أجرته «وكالة تونس أفريقيا للأنباء» مع ممثل الصندوق بتونس، نلحظ قناعة تامة بأن تونس ستطبق كل ما هو مطلوب منها عندما أشار إلى أن الحكومة دخلت في ديناميكية إصلاحات باتخاذها إجراءات شجاعة، ونقاشات بعثة صندوق النقد الدولي تمحورت بالأساس حول تسريع هذه الديناميكية خلال الأشهر القادمة، وليس أمام الحكومة الكثير من الوقت للمناورة، إذ إن بعثة الصندوق ستعود إلى تونس خلال شهري أكتوبر ونوفمبر؛ أي قبل نهاية العام سترى ما فعلته الحكومة بهذا الخصوص، وتحديداً تخفيض كتلة الأجور، والإصلاحات الجبائية، ويبدو أن الحكومة ستطبق إجراءين؛ هما التقاعد المبكر (إجباري)، والتقاعد الاختياري.

وكانت بعض المصادر قد أشارت إلى أن ١٢٠ ألف موظف يمكن الاستغناء عنهم وليس ٢٥ ألفاً فقط، وذلك في غضون السنوات الأربع المقبلة، وكانت بعض الشركات التابعة للدولة اعتمدت هذا الخيار مثل السكك الحديد والخطوط التونسية إلى جانب عدد من المؤسسات الأخرى؛ وقد أدى ذلك إلى تسريح أكثر من ٧ آلاف موظف.

ويرى صندوق النقد الدولي أن التقليص من كتلة الأجور، وتحسين مداخيل الجباية، ومكافحة التهرب الضريبي، ومحاربة الفساد، واسترداد الأموال المهربة لدى رؤوس أموال ولم تسترجع حتى الآن، والتجارة الموازية التي تستحوذ على أكثر من ٥٠٪ من الاقتصاد، من شأنه أن يقدم دعماً مهماً لخزينة الدولة التونسية.■

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: .....

الرمز البريدي: .....

تليفون: ٠٠٩٦٥٩٧٢٢٨٢٩٠ - تلفاكس: ٠٠٩٦٥٢٢٥٦٠٥٢٥

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

قيمة الاشتراك السنوي داخل الكويت: ١٠ دنانير كويتية

الدول العربية: ١٧ ديناراً كويتياً - الدول الأجنبية: ٢٥ ديناراً كويتياً

المؤسسات والشركات: ٣٠ ديناراً كويتياً، (أو ما يعادلها)

تشمل عمولة التحويل

«ميدل إيست مونيتور»: تطهير عرقي ممنهج للسكان السُّنة في المنطقة!

في الرابع من يناير ٢٠١٤م، أعلن ما يسمى بـ«تنظيم الدولة الإسلامية» (داعش) استيلاءه على مدينة الفلوجة في العراق، وتبع ذلك عدد من التقارير عن الفظائع التي ارتكبتها «الحكومة» الجديدة في المدينة، وفي أوائل عام ٢٠١٦م بدأت القوات العراقية بمساعدة من قوات التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية هجوماً لاستعادة السيطرة على الفلوجة؛ وأعلنوا انتصارهم في يونيو من العام الماضي.

بقلم: ثيمبيسا فاكود
ترجمة: جمال خطاب

قبل بدء الهجوم، شجعت رسائل واسعة النطاق سكان الفلوجة على إخلاء منازلهم قبل أن يبدأ القتال جدياً، كان الأساس المنطقي لهذه الرسائل هو تجنب وقوع إصابات بين المدنيين، واستجاب الآلاف للنداءات، ولكن أعقب ذلك أسوأ الأمثلة على تدمير الممتلكات في تاريخ العراق الحديث؛ وهو ما أجبر آلاف الأشخاص على مغادرة المدينة، إضافة إلى عدد كبير من المشردين داخلياً.

أكثر الذين غادروا المدينة هم من المسلمين السُّنة، وحتى بعد أن استقر الغبار في الفلوجة، ظل الناس نازحين ومشردين داخلياً، ولم تكن هناك محاولات جادة لإعادة توطينهم، ولا يزال أكثرهم يخشى العودة إلى ما تبقى من ديارهم؛ خوفاً من الانتقام من أولئك المسؤولين العراقيين الشيعة.

ولم يكن الوضع مختلفاً في

الموصل، وكذلك في كل العراق، وعلى الرغم من أن الهجوم كان أكثر شراسة واستغرق وقتاً أطول، فإنه يتبع تقريباً النمط نفسه.

ومثل الفلوجة، كانت الموصل التي يسكنها في الغالب مسلمون سُنة، وقد أرسلت رسائل مماثلة قبل الهجوم، وغادر الآلاف منازلهم، وقد كانت هناك قبل ذلك مستويات عالية من عدم الثقة بين السكان السُّنة والحكومة العراقية التي يقودها الشيعة، ولا يزال القلة الذين عادوا يعيشون في خوف بسبب الواقع الديموجرافي الجديد على الأرض.

تعزيزات «حزب الله» في جرود عرسال:

جرود عرسال الموجود في لبنان، على بعد بضعة كيلومترات من الحدود السورية، توجد بينه وبين الأراضي السورية روابط عائلية قوية بين الشعبين على كلا الجانبين؛ حيث كانوا كياناً واحداً قبل التقسيم الأوروبي للمنطقة منذ قرن مضى، وقد اجتذب قربها من الحدود عدداً من اللاجئين من سورية إلى البلدة؛ مما أدى حتماً أيضاً إلى زيادة في الجماعات المنظمة ضد الحكومة السورية، بما في ذلك جبهة فتح الشام.

ومنذ عام ٢٠١٤م، كانت هناك معارك مستمرة بين القوات السورية، بمساعدة من «حزب الله»، والقوات المعادية لها في جرود عرسال.

و«حزب الله» يعمل كبديل للحكومة السورية داخل لبنان، وكان في طليعة القتال، وقد عانى الجانبان من عدد كبير من الضحايا على مر السنين، لكنهما توصلا مؤخراً إلى اتفاق أسفر عن وقف مؤقت للأعمال العدائية في المدينة.

وأكدت «وكالة الأنباء الوطنية اللبنانية» أن وقف إطلاق النار أكده موقع تلفزيون «المنار» التابع لـ«حزب الله»، الذي قال: إن وقف إطلاق النار هو جزء من اتفاق يبرمه رئيس جهاز الأمن العام في البلاد اللواء عباس إبراهيم، ومن بين شروط الاتفاق أن يتمكن مقاتلو جبهة فتح الشام وأسرهم من المرور الآمن إلى إدلب عبر الحدود في سورية، وعلاوة على ذلك فإن أي مدنيين آخرين في جرود عرسال يرغبون في المغادرة قد يفعلون ذلك، كما سيتم تبادل جثث المقاتلين الذين قتلوا في المدينة وحولها كجزء من الصفقة.

وقد عزز «حزب الله» سلطته على مر السنين، وعززت الحرب في سورية وتحالفات الحزب مع إيران وروسيا من سلطته السياسية في المنطقة، وبصفته يشكل المعارضة السياسية في لبنان؛ أصبح «حزب الله» أقوى قوة وتنظيم في البلاد، وأصبح أقوى من الجيش الوطني اللبناني، وطلبه من الحكومة اللبنانية تسليم جثث مقاتليه يدل على هذه القوة؛ حيث أرسل رسالة مفادها: «نحن نهتم بأفرادنا، حتى عندما يكونون ميتين»، وقد أظهرت «إسرائيل» هذا النهج في المطالبة بجنودها القتلى مقابل مئات الأسرى الفلسطينيين في عدة مناسبات.

> **اتفاق جرود عرسال في لبنان أحد أشكال التطهير العرقي للمسلمين السُّنة**

تساؤلات مشروعة

إن التطورات في جرود عرسال تعكس ما حدث في الفلوجة والموصل وحلب.

ماذا سيحدث للمدنيين المسلمين السُّنة أساساً في المدينة عندما يستقر الغبار؟

هل سيسمح لهم بالعودة إلى ديارهم؟

ما الضمانات التي سيتم وضعها لسلامة وأمن المدنيين الذين يرغبون في العودة؟

بالنظر إلى أمثلة الفلوجة والموصل وحلب من المؤكد تقريباً أنها ستنضم إلى قوافل المشردين المتزايدة داخلياً واللاجئين في سورية ولبنان.

وفي عام ٢٠١٥م، تم اقتراح محافظة إدلب كمقعد محتمل للمعارضة في سورية.

فهل طرد المقاتلين السُّنة وأسرهم له علاقة بتحقيق هذا الاقتراح؟ أم أن إدلب وجهة جديدة للهجوم الأخير؟

وقد بدأت عمليات التهجير القسري للمسلمين السُّنة في إدلب، وكأن السُّنة يوجهون إلى بيت الذبح.

كل الدلائل تشير إلى تطهير عرقي ممنهج للسكان السُّنة في المنطقة.■

بعد طول انتظار..
البنوك الإسلامية ترى النور بالمغرب

الرباط: عبدالغني بلوط

بعد طول انتظار، فتحت البنوك الإسلامية في المغرب وكالاتها أمام المواطنين والمهنيين والشركات، وذلك بعدما صادقت اللجنة الشرعية للمالية التشاركية التابعة للمجلس العملي الأعلى، الذي يوكل إليه النظر في الأمور ذات الطبيعة الدينية، على عقود فتح الحساب وتمويل المرابحة. حسب القانون يمكن للبنوك الإسلامية أن تقدم تمويلات لزبائنها من خلال منتجات أساسية أخرى؛ منها: الإجارة، والمشاركة، والمضاربة والسلم والاستصناع.

بدأ الأمر حالياً بخمسة بنوك، كل بنك فرع من بنك مغربي تقليدي، له رأسمال مستقل، وهو ثمرة شراكة بين البنك الأصل وبنك أجنبي (كلها دول عربية) له خبرة في مجال التمويل الإسلامي.

ويعتبر المغرب من البلدان العربية والإسلامية القليلة التي تأخر فيها إطلاق البنوك الإسلامية، بالرغم من أن الحديث عن ذلك امتد لعدة سنوات خلت، وصادق البرلمان عام ٢٠١٤م على قانونها بعد مسيرة من نقاش حاد داخل أروقته، كما نشر في الجريدة الرسمية سنة ٢٠١٥م، تحت اسم «القانون المتعلق بمؤسسات الائتمان والهيئات المعتبرة في حكمها»، الذي يقضي بإدماج خدمات مصرفية جديدة إلى جانب الخدمات التقليدية، كما تم نشر آخر القوانين المتعلقة بالخدمات الإسلامية في مارس ٢٠١٧م، قبل أن يتم الإعلان رسمياً في أغسطس الماضي عن إمكانية الولوج إلى خدمات هذه البنوك في المغرب.

وتنوعت ردود أفعال المواطنين بين مرحب لهذه البنوك التي سميت تشاركية ومتوجس من فعاليتها الاقتصادية وحسن معاملتها من زبائنها وتعقيداتها المسطرية.

وصول العدالة والتنمية إلى رئاسة الحكومة كان فرصة للتسريع بإطلاق خدمات البنوك الإسلامية

قوانين البنوك التشاركية بها اختيارات إسلامية مهمة لم يسبق التعامل بها في الممارسات القائمة

فرصة سانحة

اعتبر عدد من الخبراء والمتتبعين والمواطنين أن وصول العدالة والتنمية إلى رئاسة الحكومة سنة ٢٠١١م، كان فرصة سانحة من أجل التسريع بإطلاق خدمات البنوك الإسلامية في المغرب، حيث يرى عمر الكتاني، الخبير الاقتصادي والباحث في التمويل الإسلامي في تصريح لـ«المجتمع» أن المرجعية الإسلامية لحزب العدالة والتنمية شكلت نقطة قوة لإخراج هذه التجربة إلى أرض الواقع.

لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة، فكما ارتفعت أصوات الإسلاميين والمتعاطفين معهم بالتسريع بإخراجها؛ سادت مخاوف من خصومهم؛ لكون خروج البنوك الإسلامية سيشكل نقطة إضافية تزيد من شعبية العدالة والتنمية لاسيما مع اقتراب الانتخابات الجماعية – حينها – عام ٢٠١٤م، وبعدها التشريعية عام ٢٠١٥م، فإلى جانب الحكومة، كان لطرف آخر كلمته أيضاً وهو بنك المغرب ووزارة الاقتصاد والمالية، الذي وجه لها برلمانيون إسلاميون وغيرهم من الأغلبية والمعارضة، تهم المماطلة والتأخر في إطلاق البنوك الإسلامية في المغرب.

لمسة مغربية

من جهته، أوضح عبدالسلام بلاجي، رئيس الجمعية المغربية للاقتصاد الإسلامي، في تصريح لـ«المجتمع» أن قوانين البنوك التشاركية في المغرب بها اختيارات مهمة، منها ما لم يسبق التعامل به في الممارسات القائمة، وارتكزت على أصول الفقه الإسلامي وقواعده ولا سيما الاجتهادات المعتبرة في الفقه المالكي – المذهب المعتمد في المملكة – لكنها انفتحت على تجارب أخرى، وهي بذلك تتبنى الشريعة الإسلامية ومقاصدها، وأوضح أن اللجنة الشرعية للمالية التشاركية

المكونة من عشرة التي تذكر في قراراتها أنها اطلعت على تجارب في بلدان أخرى، بل إن أعضاءها قاموا بجهد كبير وزاروا عدداً من البلدان الإسلامية.

وأشار بلاجي إلى أن من اللمسات المغربية أن هذه اللجنة مستقلة عن الحكومة وعن بنك المغرب وهي تتخذ قراراتها بالإجماع، وتنظر في جميع المسائل المتعلقة بالتمويل التشاركي في المغرب.

ومن اجتهادات اللجنة المعتبرة أنها لم تجز العمل بغرامة التأخير في المعاملات بالمداينة وهي المرابحة والسلم والإيجار، ذلك أن الفقه المالكي لا يسمح بالغرامة على أساس التماطل، وإنما بجبر الضرر.

ومن اللمسات المغربية التي جاءت بها القوانين مبدأ «القبض الحكمي»، حسب بلاجي، مشيراً إلى أنه في بعض الاجتهادات الفقهية يكون القبض فعلياً وحسياً وإلا لا تتم عملية المرابحة، في حين أكدت اللجنة الشرعية المغربية مبدأ القبض الحكمي بمجرد توقيع العقد، وهي خطوة إيجابية ستسهل عملية الائتمان، وقال: إن المشرع راعى صعوبة التطبيق في حالة القبض الفعلي، وأضاف أن اعتماد القبض الحكمي أجازه الكثيرون، وأن المعاملات في التجارة الدولية تعتمد هذا المنطق بكثرة.

كما منعت اللجنة الشرعية للمالية التشاركية مثلاً ما يسمى بالتورق الممنوع؛ وهو أن يشتري الإنسان السلعة بثمن مؤجل، ثم يبيعها لغير من اشتراها منه بثمن أقل ليحصل بذلك على النقد.

ومن الجدير بالذكر أن هذه البنوك يطلق عليها «البنوك التشاركية» بدلاً من «البنوك

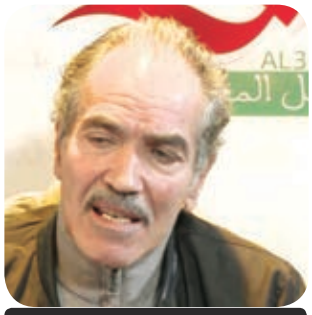

• عمر الكتاني

الإسلامية»؛ وهو ما علله الخبير الاقتصادي عبدالرحمن لحلو بالسعي إلى تنزيه الدين الإسلامي من أي انفلات أو فشل يطال التجربة لاحقاً أو إلصاق إنجازاته بالحقل السياسي، إضافة إلى تثمين الخصوصية المغربية تفادياً للتطابق اللاشعوري لدى المواطنين بين صورة البنوك الإسلامية في المغرب وصورتها في مجتمعات أخرى بمكوناتها الدينية والمذهبية والثقافية.

وفي المقابل، فلفظ «التشاركية» قد يكون له نقائص في مجال النجاعة التسويقية وطمأنة الزبائن من حيث المطابقة الشرعية، حسب لحلو لكن الحملات التحسيسية والحديث عن اللجنة الشرعية التابعة للمجلس العلمي الأعلى يمكن أن يبدد هذه المخاوف، كما يمكن تفادي هذا العجز التسويقي أيضاً بوسائل ذكية تخاطب الوجدان والشعور الديني من خلال التسميات والعبارات التجارية والأشكال الهندسية والألوان، وكذا هندام القائمين على الاستقبال والتسويق.

ويدعو لحلو إلى ضرورة إفراز نموذج جديد متميز من المصارف الإسلامية، وإلى بيان طبيعة التأقلم المرغوب والصيغة التي يجب أن يتخذها، وإبراز أهمية التفاعل الإيجابي والواعي للمتعاملين مع العرض الجديد،

• عبدالسلام بلاجي

سواء الأفراد منهم، على صعيد الودائع الاستثمارية والتمويلات الاستهلاكية أو المقاولات على صعيد التمويلات التشغيلية والاستثمارية.

إقبال متزايد

ومنذ اليوم الأول لفتحها، عرفت وكالات البنوك التشاركية إقبالاً متزايداً من قبل المواطنين المغاربة لمعرفة الخدمات التي يمكن الاستفادة منها، وبحسب الاستطلاع الذي قامت به يمكن فتح أربعة أنواع من الحسابات، منها حساب جار يمكن صاحبه من معاملة بنكية محلية ودفتر شيكات وخدمات عن بُعد، كما يتيح البنك الادخار لتوفير الأموال، إضافة إلى ادخار العملة المحلية الدرهم القابل للتحويل، وهو حساب يتم تزويده بالعملات الأجنبية من خلال عمليات التحويل والدفع، ويمكن من إنجاز عمليات بالعملة المغربية الدرهم وتحويلات بالعملة الأجنبية بالخارج، وحساب يتيح التوفير على رصيد عملة أجنبية واحدة وإجراء عمليات تحويل مع الخارج وفق المقتضيات العمومية بها في مجال الصرف.

ومن المزايا التي توفرها البنوك التشاركية تخفيف عدد من الرسوم التي تفرضها البنوك التقليدية التي يشتكي منها الزبائن، منها الإعفاء من تسيير الحساب، كما أن تاريخ القيمة المعتمد من قبل البنك التشاركي هو تاريخ تسجيل العملية، خلافاً للبنوك التقليدية، حيث ينتج عن أي عملية سحب في يوم دخول المال إلى الحساب الجاري رسوم إضافية بمثابة فوائد ربوية، حيث لا يحتسب وجود الرصيد إلا في اليوم الموالي لتاريخ العملية والذي يكون يوم عمل.

وقال الخبير الاقتصادي نوفل الناصري: إن أهمية تعاملات البنوك الإسلامية على مستوى العالم لا جدال فيها، إذ ارتفعت عدد المؤسسات المالية الإسلامية واتسع انتشارها الجغرافي، فقد بلغ عددها ما يزيد على ٢٠٠٠ مؤسسة، فيها بنوك إسلامية، ونوافذ للخدمات البنكية الإسلامية في البنوك التقليدية، وشركات التكافل ومؤسسات مالية إسلامية أخرى، مثل شركات التمويل والاستثمار.

وما يعزز مكانة ونجاعة التمويل الإسلامي على مستوى العالم، حسب الناصري، تنامي حجم أصول واستثمارات البنوك الإسلامية، التي بلغت ٢,٤ تريليون دولار سنة ٢٠١٥ وتجاوزت هذا الرقم في سنة ٢٠١٦م.

بدوره، أوضح عمر الكتاني الخبير الاقتصادي أن انطلاق البنوك التشاركية سيضخ سيولة نقدية في قطاعات مهمة جداً، ومنها قطاع السكن، الذي يتحكم في عدد من القطاعات الاقتصادية الأخرى، معتبراً أن هذا المعطى الجديد مهم بالنسبة للمغاربة وللاقتصاد المغربي.

وأضاف الكتاني أن وجود البنوك التشاركية سيمكن من ضخ أموال، على اعتبار أن الاستثمارات تعني شراء خدمات من الشركات المغربية.■

حصاد ١٦ عاماً من «العدالة والتنمية» في تركيا

د. سعيد الحاج

دعا الإسلام إلى محاسبة النفس وتقييم الأعمال للوقوف على نقاط القوة وتعزيزها، وعلى نقاط الضعف ومعالجتها؛ ولذا فمن الضروري التقييم الدوري والرصد المستمر لتحقيق الأهداف الكبرى والغايات السامية.. ففي الرابع عشر من أغسطس الماضي، مرت الذكرى السادسة عشرة لتأسيس حزب العدالة والتنمية في تركيا، ذلك الحزب الذي مثّل استثناءً في الحياة السياسية التركية الحديثة منذ لحظة تأسيسه، فمن فوزه في أول انتخابات شارك بها بعد سنة تقريباً من تأسيسه، إلى بقائه في الحكم منفرداً حتى اليوم، إلى إنجازاته الاقتصادية وإصلاحاته الديمقراطية، إلى التغييرات في بنية النظام السياسي وتصويب العلاقات المدنية - العسكرية، وصولاً إلى المساهمة في إفشال المحاولة الانقلابية صيف السنة الماضية، مسيرة طويلة تستحق التوقف عندها.

كتب الكثير عن تجربة العدالة والتنمية بين المبالغة والموضوعية والتشكيك، لكن لا يختلف باحثان على أنه قدم تجربة فريدة في تاريخ الجمهورية التركية، فرغم بقائه في الحكم لأكثر من ١٥ عاماً فإنه ما زال يحظى بثقة وأصوات طيف واسع من الشعب يمكنه من تشكيل الحكومة منفرداً، في تناقض مع ظاهرة الترهل والتراجع التي تصاحب الأحزاب السياسية في العادة.

ولعله من المفيد البحث في الأسباب التي سمحت للحزب بالنجاح والاستمرار كل هذه السنوات، في اختلاف واضح عن كل الأحزاب السياسية التي أسسها الراحل «نجم الدين أربكان» وخرجت منها المجموعة الرئيسة المشكّلة للعدالة والتنمية.

أهم هذه الأسباب - بغض النظر عن رأينا فيها - هي:

أولاً: تحييد الخصوم؛ إذ أراد الحزب الناشئ تجنب مصائر الحظر والإغلاق والانقلابات العسكرية التي واجهت الأحزاب السابقة، فكان أن قدم نفسه كحزب خدماتي غير أيديولوجي، وقدم تطمينات للقوى العلمانية (ومنها المؤسسة العسكرية) في الداخل والدول المؤثرة (وفي مقدمتها الولايات المتحدة) في الخارج.

ثانياً: التركيز على العمل أكثر من الشعارات؛ وهو ما أدى إلى نتائج مباشرة وسريعة نسبياً لمسها المواطن في حياته اليومية، سيما وأن الحزب تسلم الحكم في تركيا بعد انسداد سياسي وأزمات اقتصادية.

ثالثاً: التدرج في العمل والإنجاز؛ فلم يفتح الحزب الملفات الإشكالية والشائكة مثل العلاقة مع الجيش أو المشكلة الكردية أو الحجاب إلا بعد إنجازات اقتصادية ساهمت في

كسب ثقة المواطن، وتشكيل حاضنة شعبية حمت الحزب والتفت حوله، ورأينا إحدى ثمارها في الشارع في مواجهة الانقلاب العام الماضي.

رابعاً: القرب من المواطن؛ أتت المجموعة القيادية الجديدة من مختلف مدن الأناضول بالاختلاف مع النخبة السياسية السابقة المتعالية على الشعب، كما انتهج الحزب والحكومات المتتالية سياسات تتمحور حول المواطن في ظل شعار «أحبي الإنسانَ لتَحيا الدولة»، فضلاً عن الوصول للشعب بقيادة «أردوغان» صاحب الكاريزما والخطابة ومهارات التواصل الجماهيري المتميزة.

خامساً: روح الفريق والرجل المناسب في المكان المناسب؛ لم يأت العدالة والتنمية من فراغ، بل جاء الصف الأول من قيادته من تجربة أحزاب «أربكان» والعمل في البلديات والبرلمان، ورغم سمات «أردوغان» القيادية المعروفة فإنه كان ابن تجربة سياسية طويلة من جهة، ولم يكن يوماً وحده من جهة أخرى، وإنما كان ثمة قائمة طويلة من الكوادر ذات الكفاءة والإخلاص في مقدمتهم «عبدالله جل»، و«بولند أرينتش»، و«حاقان فيدان»، و«أحمد داود أوغلو»، و«علي باجان».

أهم الإنجازات

نقل العدالة والتنمية تركيا خلال ١٥ عاماً من إحدى دول العالم الثالث الفاسدة والفقيرة والمستدينة إلى مصاف الدول الإقليمية المؤثرة والفاعلة، وحقق لها إنجازات كثيرة يمكن ذكر أهمها كما يلي:

الأول: الإنجازات الاقتصادية: وهي الركن الأساس في تجربة العدالة والتنمية الذي احتوى أهم بصمات الحزب وأداء حكوماته، تبقى الأرقام دالة جداً على الإنجاز، وفي مقدمة ذلك مضاعفة الدخل القومي ومتوسط دخل الفرد عدة مرات وتحرير تركيا من قرض صندوق النقد الدولي، ولأهمية هذا الجانب أضحى هو الركن الأساس في رؤية «تركيا ٢٠٢٣» التي يسعى لها العدالة والتنمية في الذكرى المئوية لتأسيس الجمهورية التركية؛ إذ يريد الحزب إدخال تركيا في قائمة الدول العشر الأقوى اقتصاداً على مستوى العالم.

الثاني: الإصلاحات في كل المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية؛ إذ في ظل عدم القدرة على صياغة دستور جديد ذهب الحزب للتعديلات الدستورية في مجالات عدة، بلغ عددها ١٠ تعديلات في عهده في مقابل ٩ على أيدي كل الحكومات التي سبقته منذ عام ١٩٨٢م، عامَ صَكّ الدستور العسكري ساري المفعول حتى اليوم.

ولعل القضية الأبرز التي عالجتها إصلاحات العدالة والتنمية وقطعت فيها أشواطاً طويلة هي المشكلة الكردية الداخلية في تركيا، بدءاً من الاعتراف بالمظلومية الكردية التاريخية في تركيا والمنطقة، ومروراً بعدد كبير من «الحزم الديمقراطية» التي أقرت حقوقاً اجتماعية وثقافية وسياسية للأكراد بما في ذلك إطلاق الحكومة قناة تلفزيونية حكومية رسمية ناطقة باللغة الكردية، ووصولاً إلى عملية الحل السياسي التي وصلت إلى مراحل متقدمة قبل أن يخرق العمال الكردستاني الهدنة عام ٢٠١٥م، ويستأنف عملياته العسكرية التي بدأت حالة من التصعيد ما زالت مستمرة – وإن بمستوى أخفض – حتى اليوم.

كما أن التعديل الأبرز الذي أنجزه العدالة والتنمية بقيادة «أردوغان» هو تغيير نظام البلاد السياسي من البرلماني إلى الرئاسي في الاستفتاء الشعبي في أبريل الماضي، سعياً لنظام سياسي أكثر استقراراً وقوة وسرعة في اتخاذ القرار وتنفيذه.

الحزب قدَّم نفسه كحزب خدماتي غير أيديولوجي وقدم تطمينات للقوى العلمانية بالداخل والدول المؤثرة بالخارج

لم يفتح الملفات الإشكالية مثل العلاقة مع الجيش إلا بعد إنجازات اقتصادية أكسبته ثقة المواطن

رؤية الحزب في «تركيا ٢٠٢٣» إدخال تركيا في قائمة الدول العشر الأقوى اقتصاداً في العالم

الثالث: العلاقات المدنية – العسكرية التي نقلها الحزب من مستوى وصاية المؤسسة العسكرية على الحياة السياسية قبل فترة حكمه وبنص المادة (٣٥) من الدستور التي جعلت «حماية مبادئ الجمهورية» من صلاحيات ومهام الجيش، إلى تبعيتها للقرار السياسي للقيادة المدنية المنتخبة.

من أهم محطات هذه النقلة – التي أتت أيضاً بالتدرج – تعديل المادة (٣٥) من الدستور لتصبح مهمة المؤسسة العسكرية حماية البلاد من الخطر الخارجي حصراً، وتعديل بنية وصلاحية مجلس الأمن القومي ليصبح ذا غالبية مدنية لا عسكرية، وتضحى قراراته بمثابة توصيات فقط للحكومة، إضافة إلى تغيير بنية «مجلس الشورى العسكري الأعلى» المعني بقرارات الترقية والتقاعد في الجيش، وبالتأكيد كان لقضايا مثل «أرجنكون» و«المطرقة» التي حاكمت مئات الضباط من مختلف الرتب بتهمة التخطيط لانقلاب عسكري وفشل المحاولة الانقلابية العام الماضي أثر كبير أيضاً في هذا المسار.

الرابع: مسار السياسة الخارجية التركية التي جعلت من أنقرة دولة إقليمية فاعلة في مختلف قضايا المنطقة، وبتعديل مهم على اعتمادها الحصري على القوة الناعمة، بحيث رأينا إشارات على دمجها بملامح من القوة الخشنة مثل القواعد العسكرية خارج البلاد (في الصومال والعراق وقطر)، والاهتمام الواضح بالصناعات العسكرية وتنفيذ عمليات عسكرية غير مألوفة غير الحدود مثل «درع الفرات» في سورية.

تحديات مستقبلية

كأي تجربة بشرية، ثمة ما لم ينجح به العدالة والتنمية حتى الآن أو ما زال ماثلاً كتحدّ مستقبلي أمامه.

في **المقام الأول** هناك تحدي المستقبل أو القيادة في مرحلة ما بعد «أردوغان» خصوصاً في ظل تطبيق النظام الرئاسي في عام ٢٠١٩م، والذي يحتاج لقيادات تستطيع توحيد الحزب تحت إمرتها وإدامة المسيرة بقوة ونجاح، فسؤال الخلافة ما بعد القيادة التاريخية و/أو المؤسّسة يبقى السؤال الصعب للتيارات الفكرية والأحزاب السياسية، وهو التحدي الأصعب ربما أمام العدالة والتنمية ويحتاج أن يعد له العدة من اليوم.

وثانياً: هناك القضية الكردية التي قطعت أشواطاً

«القيادة بعد أردوغان» في ظل تطبيق النظام الرئاسي عام ٢٠١٩م تعد من أبرز التحديات أمام الحزب

الحزب بحاجة لتسريع تفعيل عمل لجنة التظلم من إجراءات حالة الطوارئ التي فرضت بعد الانقلاب الفاشل

التعديل الأبرز الذي أنجزه الحزب تغيير نظام البلاد السياسي من البرلماني إلى الرئاسي

كبيرة باتجاه الحل لكنها منذ عام ٢٠١٥م «في الثلاجة» بتعبير الرئيس التركي، بيد أن ذلك لا يلغي الحاجة الماسة للتعامل معها وحلها مستقبلاً لما لها من أثر بالغ على السلم الأهلي وسلامة النسيج المجتمعي وتحصين البلاد ضد التدخلات الخارجية، سيما في ظل التطورات الإقليمية فيما يخص الملف الكردي في كل من سورية والعراق وتأثيرات ذلك السلبية على الملف الكردي الداخلي في تركيا.

وثالثاً: هناك تحدي السياسة الخارجية التي تعاني من أزمات وتوترات كبيرة ومتعددة مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي (أي الحلفاء التقليديين لأنقرة)، ودون أن تكوّن تركيا تحالفات قوية وراسخة مع أطراف أخرى؛ ما يفرض عليها ضغوطاً كبيرة ويكبل يديها في عدد من الملفات والقضايا، هنا ثمة حاجة ملحة لبلورة نظرية جديدة للسياسة الخارجية التركية بعد كل التحولات والمتغيرات في المنطقة والعالم.

ورابعاً: هناك سؤال الحريات والحقوق في ظل حالة الطوارئ وقضايا الانقلاب الفاشل ومكافحة «التنظيم الموازي»؛ الأمر الذي نتج عنه أكثر من ١٠٠ ألف من الموقوفين عن العمل في المؤسسات الحكومية لحين استكمال التحقيقات وعددٌ كبير جداً من الموقوفين لاتهامهم في هذه القضايا.

ورغم أن الأمر يأتي في سياق استثنائي، أي بعد الانقلاب وفي ظل حالة الطوارئ، فإنه تحدّ مهم تحتاج تركيا إلى مواجهته والخروج منه بأسرع وقت ممكن، عبر إنهاء حالة الطوارئ متى أمكن ذلك، وتسريع البت في الدعاوى المنظورة أمام القضاء، وتفعيل عمل لجنة التظلم من إجراءات حالة الطوارئ التي أنشأتها الحكومة.

في المحصلة: ما زالت التجربة التركية ماثلة ومتجددة ومستمرة في التفاعل مع التحديات الماثلة والمستجدة، ورغم أنه من الصعب لأي باحث أن يقيّم تجربة معاصرة فإن إنجازات الحزب على مدى السنوات الـ١٦ الماضية تغري بوقفة سريعة مثل هذه للتأمل والدراسة والتحليل، والاستفادة.■

عرض: محمود المنير

بيانات الكتاب:
الكتاب: ما بعد تفكك النظام الرأسمالي للاقتصاد (نذر التفكك.. الإصلاح المطلوب.. انبعاث النظام الإسلامي للاقتصاد).
المؤلف: أ.د. عبدالحميد محمود البعلي.
عدد صفحات الكتاب: ١٢٢ من القطع الكبير.

ما بعد تفكك النظام الرأسمالي للاقتصاد

(نذر التفكك.. الإصلاح المطلوب.. انبعاث النظام الإسلامي للاقتصاد)

هذا الكتاب:

هذا الكتاب المعنون بـ«ما بعد تفكك النظام الرأسمالي للاقتصاد» محاولة لإبراز وتحليل وتصنيف ما لحق بالنظام الرأسمالي للاقتصاد من تشوهات وأعطاب هيكلية، وتأكيد الحاجة إلى انبعاث نظام اقتصادي جديد مغاير يتمكن وفق أسسه وقواعده وآليات عمله من تحقيق الأهداف المنشودة في الرخاء والأمن الاقتصاديين، ولا يقدح في خصوصية وتميز هذا النظام وجود قواسم مشتركة تكاد تكون طبيعية بينه وبين النظم الاقتصادية الأخرى.

ورغم أن الكتاب لمؤلفه د. عبدالحميد البعلي، أستاذ الفقه المقارن والاقتصاد الإسلامي، ورئيس قسم الاقتصاد الإسلامي بكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً، والمستشار السابق

باللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، يتناول الأزمة المالية العالمية التي شهدها العالم عام ٢٠٠٨م؛ فإن ما يطرحه من حلول لأزمات النظام الرأسمالي المتكررة لا تزال قائمة، حيث يرى المؤلف أن العالم بعد تفكك النظام الرأسمالي للاقتصاد بحاجة ماسة إلى: خطط إصلاح جذري هيكلي، وعدم الإسراف في خطط الإنقاذ على نفس الأسس؛ لأن العالم أمام تسونامي مالي جديد (كما قال «آلن جريسبان»)، وأمام أزمة شاملة تحتاج إلى إصلاح شامل؛ وعليه نحن والعالم بحاجة إلى نظام عالمي جديد يدعو إلى منظومة متكاملة من الحرية والسلام لا البطش والعدوان، والرخاء والعدل لا الجوع والظلم، والخير والرحمة لا الشر والقسوة.

وفيما يتعلق بالأسئلة المحورية المتعلقة بالاقتصاد ومشكلة الندرة؛ وهي: ماذا وكم ننتج؟ وكيف ننتج؟ ولمن ننتج؟ وبقدر اختلاف وتميز الإجابة عن هذه الأسئلة يكون تميز النظام الاقتصادي وقدرته على الإصلاح الاقتصادي المنشود.

البورصات العالمية شكلت وكراً لخلق الثروة من خلال عمليات المضاربة أو المقامرة المنفصلة عن الواقع الاقتصادي

لا بد من إحلال سياسة نقدية للعمل على إلغاء سعر الفائدة واستخدام بدائل من معدل الربحية والإنتاجية

وفي هذا السياق، يقول المؤلف: إنه تأكد في الواقع العملي المعاصر فشل النظام الاشتراكي للاقتصاد إلى حد كبير جداً في تقديم الحلول الناجحة للمشكلات الاقتصادية في المجتمعات التي طبق فيها، وكذلك الآليات التي اتبعها، وعجزه - بالتالي - عن تحقيق ما وضعه لنفسه من أهداف في الإنتاج والتوزيع والعدالة والأمن، وذلك كله بعد فترة زمنية امتدت إلى أكثر من سبعين عاماً.

محتويات الكتاب:

قدم المؤلف هذه الدراسة بتمهيد وأربعة فصول جاءت:

الفصل الأول: النظام الرأسمالي يأكل نفسه وينكشف في أسسه وآلياته.

الفصل الثاني: الحسابات المكشوفة ودورها في الأزمة المالية العالمية الكبرى.

الفصل الثالث: نذر تفكك النظام الرأسمالي تمثل استدعاء جاهزية النظام الاقتصادي الإسلامي.

الفصل الرابع: سبل العلاج وبرامج الإصلاح المطلوبة للخروج من الأزمة.

النظام الرأسمالي يأكل نفسه:

يبرهن المؤلف على أن النظام الرأسمالي العالمي انكشف في أسسه وآليات عمله وانقلب عليها، ويأكل نفسه من خلال خمسة براهين؛ هي:

١- كثرة خطط الإنقاذ وشبح التخبط؛ ويؤكد ذلك محاولته إنقاذ البنوك والشركات من شبح الإفلاس، وإنقاذ المواطنين وبالذات البسطاء المتضررين بلا ذنب.

• د. عبدالحميد البعلي

٢- تصرفه على عكس قواعد منظمة التجارة العالمية بحظر الإعانات المباشرة.

٣- تصرفه على عكس قواعد السوق الأوروبية الموحدة بأفكار التأميم الفرنسية والبريطانية جزئياً أو كلياً.

٤- طرحه أفكار إعادة توزيع الثروة/ توزيع الثراء على عكس مبدأ تعظيم الثروة والربح الذي يقوم عليه النظام الرأسمالي.

٥- طرح النظام الرأسمالي أفكار تشكيل حكومة اقتصادية لدول الاتحاد الأوروبي على عكس مبدأ حرية السوق.

واقع الأزمة العالمية الكبرى:

يرى د. البعلي أن الأزمة العالمية الكبرى التي شهدها العالم عام ٢٠٠٨م لها جوانب ثمانية، ولها أسبابها المباشرة وغير المباشرة، ولها آثارها الداخلية والارتدادية.

ومن هذه الجوانب الثمانية الجانب الاقتصادي الذي يتمثل في:

١- انكشاف أسس النظام الرأسمالي الغربي، خاصة النموذج الأمريكي، وما تبعه من نظم وإجراءات وثبوت تناقضه إثر:

أ- التدخل الشديد السافر من جانب الدولة والحكومات والوزارات المتعددة؛ مثل: وزارة المالية، البنوك المركزية، الخزانة لضخ السيولة في الوحدات والأجهزة المختلفة كالبورصات والبنوك والشركات في شكل خطة إنقاذ مباشر تبلغ ٧٠٠ مليار دولار، ولتملك مصارف وشركات مثل ما حدث في بريطانيا وUS.

ب- حسب آخر تقرير لصندوق النقد الدولي، فإن الاقتصاديات العالمية تواجه أكبر الأزمات منذ سبعين عاماً، ولن تنمو كما هو متوقع قبل نهاية عام ٢٠٠٩م[1].

جـ- مخالفة أسس النظام الرأسمالي الغربي في حرية السوق والدولة غير المتدخلة (الحارسة).

وأفكار أن الأسواق قادرة على ضبط نفسها، وأنها دائماً على حق مثل: العولمة، مبدأ «آدم سميث» «دعه يعمل دعه يمر»، تعظيم الربح ورأس المال، حيث أثبت الواقع أنها أفكار مجنونة، كما يقول الرئيس الفرنسي (الأسبق) «ساركوزي»، وصدق الله العظيم إذ قال: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) (البقرة:٢٧٥).

ونجد أن «الفينانشال تايمز» جريدة الرأسمالية تقول: سقوط «وول ستريت» يعني سقوط النظام الرأسمالي برمته!

٢- أن البورصات العالمية شكلت وكراً لخلق الثروة من خلال عمليات المضاربة أو المقامرة المنفصلة في كثير من الحالات عن الواقع الاقتصادي الحقيقي؛ إذ يعتمد ارتفاع أسعار الأسهم أو انخفاضها

على المضاربة لأعلى النشاط الاقتصادي للشركات.

٣- وجود إشكاليات فنية في الممارسة سببها الأصول الفكرية في النظام الرأسمالي.

الآثار الناجمة عن الأزمة:

رصد المؤلف عدداً كبيراً من الآثار السلبية الفادحة الناجمة عن الأزمة؛ منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- تأثر حركة الصادرات العربية لأسواق أوروبا وأمريكا والعكس أيضاً.

٢- تأثر حركة السياحة للبلاد العربية.

٣- اتجاه المستثمرين للأسواق المستقرة نسبياً.

٤- هروب الودائع النقدية العربية لدى البنوك الأجنبية والشركات التي أفلست.

٥- عدم ضمان النظام التأميني البنكي الأمريكي لصرف أي أموال للمودعين في حالتي الإفلاس أو التعثر.

٦- تشير التقارير إلى الدخول في ركود عام وبخاصة في مجال العقارات في العالم بأسره.

٧- سحب الاستثمارات التنموية من الدول العربية وهروب للرأسمال الأجنبي.

٨- صناديق الاستثمارات المساهمة (صناديق الثروة السيادية) واستثماراتها في العديد من البنوك الغربية تقدر ١,٥ تريليون دولار، وهذه الصناديق تمتلكها حكومات عربية تسيطر على أصول إستراتيجية أمريكية في مؤسسات مالية كبرى مثل «بلاك ستون، يوبي إس، ميريل لينش، مورجان ستانلي، سيتي جروب»، خسائر الصناديق السيادية في الدول الناشئة بما فيها الخليج تقدر بحوالي ٤ مليارات دولار.

٩- الأموال الهائمة لدول الخليج المقدرة ١,٥ تريليون دولار في وضع حرج.

١٠- تقرير منظمة العمل الدولية بأن ٢٠ مليون وظيفة فُقدت حول العالم بنهاية عام ٢٠٠٨م.

تفعيل دور الزكاة والتكافل كأساس للنظام الاقتصادي والاجتماعي أحد الحلول الاقتصادية للأزمة

الاقتصاد الإسلامي يدعو إلى تصحيح وظيفة النقود إذ هي رؤوس أموال يتّجر بها لا فيها

إيجابيات الأزمة العالمية:

رغم الآثار السلبية للأزمة، يرى المؤلف أن لها آثاراً إيجابية؛ منها:

١- العمل على فك الارتباط مع الاقتصاد الأمريكي والدولار الأمريكي، خصوصاً بعد الدخول في موجة ركود.

٢- إعطاء الفرصة لمراجعة الاستثمارات العربية في الأسواق الأمريكية والأوروبية والعودة إلى مواطنها ومواطنيها، وبناء اقتصادات قوية.

٣- إتاحة الفرصة كاملة لكل من عنده فكر بنّاء من العلماء والمؤسسات الإسلامية، لإخراجه للناس لإنقاذهم مما هم فيه بعيداً عن الشعارات.

سبل العلاج وبرامج الإصلاح:

طرح المؤلف باعتباره خبيراً اقتصادياً إسلامياً رؤية متكاملة كعلاج جذري للأزمة التي لا يزال الاقتصاد العالمي يعاني آثارها، ومنها:

١- التصحيح الهيكلي للنظام الاقتصادي وفق برنامج للإصلاح الاقتصادي.

٢- وضع آلية دقيقة ومحكمة وصحيحة لضبط حركة الأسواق المالية وفق برنامج الإصلاح الاقتصادي المشار إليه، تتضمن نظم الشفافية والرقابة بأنواعها ومنع المضاربات الوهمية والصورية.

٣- وضع تصنيف محكم للمخاطر وآلية التعامل معها والرقابة الفعالة على تنفيذها وإجراءات واحتياطيات مواجهتها إذا حدثت.

٤- إحلال سياسة نقدية تهدف إلى العمل على إلغاء سعر الفائدة واستخدام بدائل من معدل الربحية ومعدل الإنتاجية ومعدل النمو الاقتصادي ولنعلم دائماً أن الحقيقة المرة تكمن في الديون فهي القاسم المشترك في الأزمة.

الاقتصاد الإسلامي يعمل على تعظيم العنصر البشري وتثقيفه وتدريبه

الإصلاح الاقتصادي في النظام الإسلامي:

قدم المؤلف في نهاية كتابه قِيم برنامج الإصلاح الاقتصادي في النظام الإسلامي؛ وهي:

أولاً: تصحيح وظيفة النقود؛ إذ هي رؤوس أموال يتّجر بها لا فيها: فلا يكنزوها، ولا يفسدوا وظائفها، ولا يأكلوها بالباطل، ولا يجعلوها دُولة بين الأغنياء منهم.

ثانياً: تعدد وتنوع قاعدة الملكية على ضوء الحاجة العملية والمصلحة الاقتصادية.

ثالثاً: تفعيل دور الزكاة والتكافل كأساس للنظام الاقتصادي والاجتماعي.

رابعاً: دور الدولة المتوازن والفعّال وتبني إستراتيجية المعاملات المالية المتكاملة في النظام المالي.

خامساً: تفعيل آلية العمل المصرفي الإسلامي وفق مبادئه وأخلاقياته الشرعية.

سادساً: الحلال والحرام أصل المكاسب والإنفاق بأنواعه المتعددة.

سابعاً: شراكة رأس المال والعمل محور النشاط الاقتصادي وأساس التجارة والاستثمار فيه.

ثامناً: شفافية السوق بضوابطها ومبادئها الشرعية.

تاسعاً: تعظيم العنصر البشري وتثقيفه وتدريبه وتطويره.■

الهامش

(١) يرى الملف أن العلاج يتمثل في مبادئ الاقتصاد الإسلامي مثل: تعدد قاعدة الملكية وتنوعها وتكاملها وفق ضوابط وآليات محددة مدروسة.

ابن خلدون والزيادة السكانية

بقلم: د. أشرف دوابه

يخرج علينا بين حين وآخر من يحصر مشكلات التنمية في البلدان الإسلامية في الزيادة السكانية، ويعتبرها من أهم أسباب التخلف والعائق أمام التنمية، خاصة من تولوا أمر بعض البلاد في الدول النامية عامة والإسلامية خاصة، وفشلوا فشلاً ذريعاً في التقدم ببلادهم نحو أي تنمية، فصارت الزيادة السكانية شماعة يعلقون عليها فشلهم وسوء إدارتهم وفسادهم، والإرادة للإصلاح الغائبة عن ذهنهم، تحت سكرة السلطة وقوة البطش.

ابن خلدون : عدد السكان ليس عبئاً بل نعمة يجب أن تُشكر

«مالتوس» ادعى أن العالم سيشهد كل ربع قرن ما يشبه المجاعة نتيجة ميل سكانه للزيادة

المؤسسات الدولية تسعى لتخفيض السكان في الدول النامية وزيادتهم في الدول الغربية

اليابان تفتقر إلى الموارد الطبيعية لكنها أجادت استخدام مواردها البشرية!

وقد فطن ابن خلدون في مقدمته إلى قيمة القوة السكانية وقدرتها على تحقيق التنمية، واعتبرها من مقوماتها ودلالتها؛ فالزيادة السكانية في نظره تؤدي إلى زيادة درجة العمران، وقلتها في بداية الدولة تعيق التنمية وفي نهايتها تضعفها، فقد ذكر ابن خلدون أن «الترف (الرفه) يزيد الدولة في أولها قوة إلى قوتها، والسبب في ذلك أن القبيل إذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل والولد والعمومية، فكثرت العصابة واستكثروا أيضاً من الموالي والصنائع وربيت أجيالهم في جو ذلك النعيم والرفه، فازدادوا بهم عدداً إلى عددهم وقوة إلى قوتهم بسبب كثرة العصائب حينئذ بكثرة العدد».

كما ذكر أن «عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القائمين بها في الكثرة والقلة»، وأضاف أيضاً: «ألا ترى إلى الأمصار القليلة الساكن كيف يقل الرزق والكسب فيها أو يفقد؛ لقلة العمال الإنسانية، وكذلك الأمصار التي يكون عمرانها أكثر يكون أهلها أوسع أحوالاً وأشد رفاهية».

خرافات «مالتوس»!

وبذلك نظر ابن خلدون لقيمة الزيادة السكانية كقوة تنموية قبل أن تظهر خرافات «مالتوس» بمئات السنين؛ ففي القرن الثامن عشر ظهرت نظرية الاقتصادي الإنجليزي الشهير «مالتوس» في السكان، التي ادعى فيها أن العالم لا بد أن يشهد كل ربع قرن ما يشبه المجاعة، وذلك نتيجة

• ابن خلدون

ميل سكانه للزيادة وفق متوالية هندسية، بينما يميل الغذاء إلى الزيادة بحسب متوالية عددية، ومن ثم فإن وجود فجوة بين السكان والموارد الغذائية أمر لا مفر منه، وازدياد هذه الفجوة اتساعاً بمرور الزمن أمر لا فكاك عنه.

وقد توصل «مالتوس» لحل ينافي الفطرة الإنسانية لهذه المشكلة من خلال مطالبته بالعزوف عن الزواج أو تأجيله بهدف الحد من الزيادة السكانية، وإلا فإن الطبيعة ستحصد الرؤوس الزائدة من خلال الأمراض والأوبئة نتيجة سوء التغذية، أو بالحروب نتيجة للتصارع على الموارد الغذائية.

وقد تبنت المؤسسات الدولية تلك النظرية لتخفيض عدد السكان في الدول النامية، في الوقت الذي حرصت فيه على تحفيز الزيادة السكانية في الدول الغربية، التي تعاني أصلاً من انخفاض في معدل المواليد كنتيجة حتمية للانحرافات الخلقية، والله تعالى خلق كل نسمة وتكفل برزقها، قال تعالى: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾) (هود).

فعدد السكان لا يمكن النظر إليه على أنه عبء ومصيبة، بل هو نعمة يجب أن تُشكر، ومصدر قوة يجب أن تُستغل، والله تعالى كفل أرزاق العباد وطلب منهم الأخذ بالأسباب والمشي في مناكب الأرض، وخلق لهم فماً واحداً، في الوقت الذي أنعم عليهم بيدين لهما القدرة على إطعام هذا الفم من رزق الله بالعمل والإنتاج، كما أنه إذا كان يولد في كل عام مئات الآلاف من البشر، إلا أنه في الوقت نفسه تولد كل عام مئات الأفكار والمخترعات، وتزيد أفق المعرفة فيتسع العالم وتزيد موارده من تلك الأفكار التي لو أحسن استغلالها لتكشفت ينابيع متجددة ومتعددة من الثروات.

إن زيادة السكان تعني من جهة المزيد من الأيدي العاملة؛ ومن ثم إمكانية التخصص وتقسيم العمل؛ وبالتالي المزيد من الإنتاج والمزيد من الفائض الاقتصادي، ومعنى ذلك تحقق حلول معقولة لنظرية العرض، كما أنها تعني من جهة أخرى المزيد من الطلب؛ ومعنى ذلك حل مشكلة الطلب.

وكم من دول فقيرة في الموارد ولكنها استخدمت ما لديها من قوة عاملة في بناء نهضتها؛ فعلى سبيل المثال اليابان - التي بلغت صادراتها بجودتها الآفاق - تفتقر إلى الموارد الطبيعية، ولكنها أجادت استخدام مواردها البشرية، فمساحتها تبلغ ٣٨٠ ألف كيلو متر مربع، ونسبة ٢٠٪ من الأراضي اليابانية غير قابلة للاستغلال على الصعيد الاقتصادي، وبقية الأرض تشكلها الجبال، وعدد سكانها يتسم بالكثافة حيث يبلغ ١١٨ مليون نسمة، ومع ذلك وصلت إلا ما وصلت إليه من تقدم وتنمية.■

مأثورات اقتصادية

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنز الجنة»، قال مكحول: «فمن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجى من الله إلا إليه كشف الله عنه سبعين باباً من الضر أدناها الفقر» (أخرجه الترمذي).■

مفاهيم اقتصادية

البيع على المكشوف

فيه يتم بيع أوراق مالية لا يملكها البائع عند إتمام عملية البيع، ويتم التسليم الفعلي بواسطة أوراق مقترضة من سمساره، ثم تشترى هذه الأوراق فيما بعد عندما تنخفض قيمتها السوقية عن القيمة التي سبق أن بيعت بها، وهذا النوع من المعاملات مرهون بتوقع البائع وغالباً ما يكون مضارباً انخفاض القيمة السوقية للأوراق المالية محل الصفقة، وإذا حدث العكس واتجهت الأسعار للارتفاع واقترب موعد التسليم فإن ذلك من شأنه أن يعرض المستثمر لخسائر فادحة لا يقوى عليها المستثمر العادي.

وبالنظر الفقهي للبيع على المكشوف نجد أنه لا يجوز شرعاً، فهو يدخل في بيع الإنسان ما ليس عنده، وبيع الإنسان ما اشتراه قبل قبضه، وهو ما حرمته شريعة الإسلام.■

خبر اقتصادي

أول قمة إسلامية للنهوض بالقطاعات الاقتصادية بكازاخستان

من المرتقب أن تلتئم أول قمة لمنظمة التعاون الإسلامي لبحث القضايا العلمية والتقنية في العاصمة الكازاخية، أستانا، مطلع سبتمبر ٢٠١٧م، يحضرها قادة الدول الأعضاء، التي تسعى جاهدة للتركيز على النهوض بالقطاعات الاقتصادية التي تقوم على الصناعات العلمية والتقنية.

وتسعى التعاون الإسلامي من القمة إلى إيلاء البحث العلمي والتقني والابتكارات أهمية خاصة من خلال إدارة العلوم والتكنولوجيا التي تعد جزءاً من إدارات الأمانة العامة بمقرها الرئيس في جدة، بالإضافة إلى اللجنة الدائمة للتعاون العلمي والتكنولوجي التابعة للمنظمة، في إسلام آباد مقراً.

ووفقاً للأمين العام المساعد لشؤون العلوم والتكنولوجيا في المنظمة، السفير نعيم خان، فإن القمة المرتقبة هي الأولى من نوعها؛ حيث قال: إنها ستمكن المنظمة من وضع إستراتيجيتها للعلوم والتكنولوجيا على مدى السنوات الـ١٠ المقبلة.

وكانت المنظمة قد اعترفت بانخفاض معدلات التنافس بين دولها في الصناعات العلمية والتقنية مقارنة بدول العالمين الأول والثاني، وهو ما سبب تراجعاً في أداء القطاعات الاقتصادية، ونكسة لنهوض بعضها.■

محطات إيمانية في طريق التربية (٧)

إلى ولدي في يوم العيد

أتدري يا ولدي ما يوم العيد؟ إنه المحطة التي نتشوق لها ونشتاق، ونتجهز لها ونستعد، بل وننتظر الوصول إليها بشغف ومحبة؛ حيث البهجة فيها والسرور، والسعادة والحبور، وحين يصل المرء منا لتلك المحطة ينعم بحضن أسرته، وصدق أصدقائه، وقرب أقاربه، ورحمة أرحامه.

إيمان مغازي الشرقاوي

العيد رمز لاجتماع الأمة وإظهارٌ لهويتها وعلامةٌ تميزها عن غيرها من الأمم

ما أجمل أن تجتمع يا ولدي يوم العيد بإخوتك وأهلك وأرحامك وأصدقائك وجيرانك!

الترفيه في العيد مطلوب ليعلم الجميع أن في ديننا فسحة ومراعاة للنفوس واحتياجاتها

إنها محطة أنعم الله بها على عباده المؤمنين وجعل وصولهم إليها مكافأة لهم على ما قدموا بين أيديهم من عمل صالح وعبادة مفروضة قد أتمّوها، فكانت جائزتهم من الله خالصة لهم ولمَن هو منهم ومعهم إلى يوم الدين، فصار يوم الجائزة عيداً لهم، وأيّ عيد!

العيد.. والعود الحميد:

وأعيادنا - يا ولدي - أيام فرح وسرور، ونعمة وشكر، نتعبد الله تعالى بذلك الفرح حيث نتوجه إليه شاكرين له نعمته أن هدانا للإيمان به، وكرمنا بخير دين، وشرفنا بالعبودية له، يأتي كلا العيدين - الفطر والأضحى - ويرتبطان بعبادتين عظيمتين، وفريضتين مهمتين، وركنين من أركان الإسلام وبنائه، وهما الصوم حيث مغفرة الذنوب والعتق من النار في رمضان، والحج وركنه الأعظم عرفة، والعتق الأكبر من النار فيه، فيعود العيد معهما كلما عادا إلينا، وقد قيل: إن العيد «مشتق من العَود لتكرره كل عام، وقيل: لكثرة عوائد الله تعالى فيه على عباده، وقيل: لعَود السرور بعَوده»[1].

العيد يا ولدي دعوة للاجتماع ونبذ الفرقة:

والعيد عبادة جماعية تخص مجموع الأمة، وليس لفرد دون آخر، وقد قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾(الحج)، وروي عن ابن عباس: «ولكل أمة جعلنا منسكاً» قال: عيداً[2]، فالعيد رمز لاجتماع الأمة وإظهارٌ لهويتها، وعلامةٌ تميزها عن غيرها من الأمم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لكلّ قوم عيداً، وهذا عيدُنا»[3].

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: كانَ لأهل الجاهلية يومان في كل سنة يلعبون فيهما فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال: «كان لكم يومان تلعبون فيهما وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يومَ الفطر، ويومَ الأضحى»[4]، قال ابن رجب: «فأبدل الله هذه الأمة بيومي اللعب واللهو يومي الذكر والشكر والمغفرة والعفو.. عيد الفطر من صوم رمضان.. فشرع الله تعالى لهم عقب إكمالهم لصيامهم عيداً يجتمعون فيه على شكر الله وذكره وتكبيره على ما هداهم له.. والعيد الثاني: عيد النحر وهو أكبر العيدين وأفضلهما وهو مترتب على إكمال الحج.. فإذا أكمل المسلمون حجهم غفر لهم»[5].

فما أجمل أن تجتمع يا ولدي في يوم العيد بإخوتك وأخواتك وأهلك وأرحامك، وأصدقائك وجيرانك، على أن تكون بهم ومعهم فرداً من أفراد مجموع المسلمين تتعاونون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

افرح يا ولدي في يوم العيد:

وحق لك يا بني ولكل مسلم أن

يفرح بفضل ربه القائل سبحانه: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾)(يونس)، «والعيد هو موسم الفرح والسرور، وأفراح المؤمنين وسرورهم في الدنيا إنما هو بمولاهم إذا فازوا بإكمال طاعته وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضله ومغفرته»[٦]. فلنجعل من هذا الفرح يا ولدي فرصة لتقوية النفس مما أصابها من صدمات الحياة وآلامها وابتلاءاتها التي لا مفر منها، وليكن الترفيه عنها ببعض ساعات اللهو المباح حتى تقوى على مواصلة مشوار الحياة، هذا الفرح يا بني لا بد أن يتجلى في تعاملنا مع أهلينا ومَن حولنا حتى يعلم الجميع أن في ديننا سماحة وفسحة ومراعاة للنفوس واحتياجاتها البشرية، ويظهر فرحنا أيضاً في التوسعة على الأهل والأولاد في الملبس والمأكل والمشرب، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب»[٧].

عيدنا له أحكام وآداب:

وحين يهل العيد ويطل علينا يا بني، كشعيرة إسلامية ومناسبة دينية، فإن له آداباً وأحكاماً تؤكد لنا أن هذا الدين لا يؤخذ بالأهواء والآراء، ولا بالتقليد والافتراء، وأنه اتباع لا ابتداع؛ فانتبه يا ولدي واحذر التقليد بغير هدى، واعلم أنك مأمور باتباع شرع الله ومنهجه وكتابه في كل حال، وأن قدوتك في السير والاتباع هو نبيك محمد صلى الله عليه وسلم.

يأتي العيد يحمل معه رسائل مهمة تجعل منه موسماً للتربية الإيمانية والنفسية والاجتماعية، بل والجسدية، وهذا ما يتّسم به دين الإسلام العظيم، حيث التكامل والشمول، والتوازن والواقعية، فما من يوم يمر علينا إلا ويجب أن تظهر منا فيه ملامح العبودية الخالصة لله عز وجل، وإن واجب هذه العبودية أن تمتد جذورها وتطول وتتفرع حتى تشمل أقوالنا وأفعالنا، وأخلاقنا ومعاملاتنا، وعطاءنا ومنعنا، وحبنا وبغضنا، وحركاتنا وسكناتنا، وأفراحنا وأتراحنا.

العيد يا ولدي لا يخلو من ذكر وشكر:

نعم يا بني.. ففي العيدين يكون ذكر الله بالتكبير والتهليل والتحميد، والاجتماع على التذكرة في خطبة العيد، لكن الرسالة المهمة التي يحملها العيد لنا أن نعرف أن حياتنا كلها لله، مرتبطة بشرعه ورضاه، فإذا أمر بالصوم صمنا، وإذا أمر بالفطر أفطرنا، وإذا قال: «وأتموا الحج والعمرة لله» فعلنا، فتمام الطاعة عمل عظيم يُتوج بالعيد.

واعلم يا بني أن طاعة الله عز وجل وعبادته لا تسقط عنا في يوم العيد، ولا يؤذن لنا فيه بالمعاصي، فجدد إيمانك فيه، واعلم أنه جائزتك من الله بعد عمل طويل منك وحبس نفسك عن الشهوات في رمضان وعشره الأواخر التي فيها ليلة القدر، والاجتهاد في عشر ذي الحجة وعملك الصالح فيها، الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من عملٍ أزكى عند الله ولا أعظمَ أجراً من خيرٍ يعملُه في عَشرِ الأضحى»[٨]، «مَا مِن أيّامٍ العملُ الصّالحُ فيها أحبَ إلىَ اللهِ من هذهِ الأيّامِ يعني أيّامَ العشرِ»[٩].

والعيد يا ولدي برّ وصلة:

وما أعظم البر وما أجمل عاقبته في الدنيا والآخرة! فبرّ والديك يا ولدي، وزد برك لهما في يوم العيد، اقترب منهما واستمع إليهما وقبّل أيديهما واطلب رضاهما فذلك لك جنة، وأي جنة! اقترب من إخوتك وأخواتك، برّ والديك فيهم، تزاور معهم وصلهم، وتجاوز عن زلاتهم، أعط المحتاج منهم، ولا تمنن بعطائك فيذهب أجرك، فأنتم يا بني نواة الأمة وبذرتها الصالحة التي إن نمت على الألفة والمحبة والأخوّة صارت بكم قوية، ولا تنسَ أرحامك، بل صِلهم وكن لهم أرضاً ذليلة وسماءً ظليلة يطل الله في عمرك وينسأ لك في أثرك، ويصلح نسلك ويطيب ذكرك. واعلم أن ذلك لك عند الله أجر وذخر.

والعيد يا بني رحمة وعطاء وشعور بالآخر:

وفي العيد تظهر معادن الناس الغني منهم والفقير، وتتجلى النفوس وتسفر عن مكنونها بما يحصل منهم من بذل وعطاء ومواساة، فما أعظم الشعور بالفقراء والمساكين والأيتام والأرامل، الشعور الحقيقي الذي يدعو لرؤية حالهم والشعور بهم والتخفيف من معاناتهم، وإن منهم من لا يجد لقمة العيش التي يسد بها فاقته، ولا يجد البالي من الثياب يلبسه في يوم العيد فضلاً عن لبس الجديد، فما أعظم أن تكسو يتيماً، أو تطعم مسكيناً أو تمسح على رأس يتيم في حاجة لجرعة حنان يتذوقها في يوم العيد! وما أجمل أن تتحفه بلعبة يلعب بها مع أقرانه فتدخل السرور على قلبه الحزين! وإن منهم – يا ولدي – من يلتحف السماء بلا أهل ولا مأوى ولا موطن، قد ناءت به الديار بعيداً حيث التهجير واللجوء بعد أن فقدوا كل شيء بسبب الحروب والنزاعات المسلحة، فلا أقل من إدخال الفرحة عليهم والشعور بهم في يوم العيد.

العيد يحمل معه رسائل مهمة تجعل منه موسماً للتربية الإيمانية والنفسية والاجتماعية

ما أعظم أن تكسو يتيماً أو تمسح على رأسه أو تطعم مسكيناً!

عيدك سعيد يا بني:

عيدٌ من سعادتنا فيه يتجدد معه إيماننا، وتُتقبل فيه أعمالنا، فتقبل الله منا ومنك، وأعاده الله علينا وعلى أمة الإسلام وقد التأمت جراحها وجف نزفها وقويت شوكتها وصارت كما أرادها الله خير أمة أخرجت للناس.■

الهوامش

(١) الخطيب الشربيني، انظر الدرر السنية، الموسوعة الفقهية، أحكام العيدين.
(٢) تفسير ابن كثير.
(٣) رواه البخاري.
(٤) صحيح النسائي.
(٥)، (٦) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي، المكتبة الشاملة.
(٧) خرجه أهل السنن وصححه الترمذي.
(٨) صحيح الترغيب، وحسنه الألباني.
(٩) صحيح أبي داود، وصححه الألباني.

الشيخ المجاهد محمد محمود الصواف (١)

قصة قائد الجماعة العراقية

مثّل ظهور الشيخ محمد محمود الصواف على الساحة الإسلامية في العراق في الأربعينيات من القرن الماضي إرهاصات صحوة إسلامية ذات أسس تجديدية، وبأسلوب يتناسب والعصر الذي قاد فيه الحراك الإسلامي حينئذ.

أما زمن ما قبل الحركة التجديدية، التي عمل الشيخ الصواف على انبعاثها في ربوع الرافدين، فكان متمثلاً بحضور إسلامي، ولكنه مغاير للخط ذي الرؤية الشاملة للإسلام الذي دعا إليه.

منتصر الصواف

كانت هناك آنئذ جمعيات إسلامية قائمة كالهداية الإسلامية، والشبان المسلمين، والآداب الإسلامية وغيرها، وهي ذات خط كلاسيكي تقليدي انحصر دورها في إحياء مناسبات إسلامية كالمولد النبوي وإصدار مجلات دينية، ولكنها لم تُقدم على المعالجة الموضوعية لمشكلات المجتمع العراقي من حيث التأثير والتفاعل الفكري والتربوي والاجتماعي، فغدت ذات دور محدود ومنكفئة على نفسها، فلم تستطع إحياء دعوة أو بعث نهضة.

فبروز دعوة الشيخ الصواف الجديدة في وسط سياسي تحت سيطرة حكومة العهد الملكي «المتعلمنة» والسفارة البريطانية والحزب الشيوعي العراقي والحركة القومية وغيرها أحدث تياراً إسلامياً حركياً، كان جل المثقفين المسلمين من الشباب العراقي متعطشاً له؛ لأن ذلك المكون الشبابي كان يبحث عن النقيض الأيديولوجي الإسلامي لتلك التيارات المعادية للإسلام.

ويمكن أن نقسم قصة قائد الجماعة العراقية - ونعني بها الفرع العراقي، ونقول: فرع، فالأم هي الجماعة المصرية (الإخوان المسلمون) التي نبتت أصولها في مصر على يد الإمام المؤسس الشهيد حسن البنا - إلى قسمين:

١- تاريخه الشخصي في الفترة الزمنية من ١٩١٥ - ١٩٤٥م.

٢- تاريخه الحركي العراقي في الفترة الزمنية من ١٩٤٦ - ١٩٥٩م.

وستعمل هذه الدراسة على تسليط الضوء على هذه المسارات باعتمادها منهجين في البحث العلمي؛ هما: المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي؛ لأن استيعاب تاريخ الشيخ الصواف مؤسس الجماعة ومراقبها الأول وقائدها الحركي ومثبت برامجها ومناهجها الدعوية والفكرية في العراق هو استيعاب لتاريخ الجماعة الإخوانية العراقية في فترة قيادته التأسيسية وما بعدها إلى هجرته.

أولاً: تاريخه الشخصي:

- ولادته:

ولد الشيخ محمد بن محمود بن عثمان بك بن بكر بك بن محمد بك بن يونس بك الصواف في مدينة الموصل شمال العراق عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م.

كانت في ولادة الشيخ الصواف كرامة؛ حيث ولد وكان وجهه ورأسه قد حفظا بغشاء أبيض شفاف يشع النور من تحته، فما كان من القابلة إلا أخذت تكبّر.

وحين أخبروا الإمام محمد أفندي الرضواني حينئذ قال معلقاً على المولود الجديد: «إن شاء الله سيخرج رجلاً صالحاً».

كانت أصول عائلته تنحدر من قبيلة «طيء» العربية فخذ الحريث، وكانت تقطن في مدينة حائل بنجد في المملكة العربية السعودية، ثم نزحت قبل أكثر من ٢٠٠ سنة واستقرت في مدينة الموصل.

امتهنت العائلة الزراعة والتجارة، وقد أخذت العائلة لقب «البكوية» من الدولة العثمانية لامتلاكها أراضي وقرى، ثم امتهنت بعد ذلك تجارة صوف الأغنام، وأسست سوقاً لهذا الغرض في منطقة باب الطوب - أي باب المدفع - وسط المدينة حملت اسم «سوق الصوافة» ولا يزال قائماً حتى هذه اللحظة.

- نشأته:

نشأ الشاب الصواف في أحضان عائلته التي عرفت بالصلاح، وكان ترتيبه بين إخوته الخامس عشر، وقد نشأ محبّاً هو وأفراد عائلته لدولة الخلافة

العثمانية التي كان العراق يرفل بالعيش تحت ظل حكمها (كما حدّث عن ذلك في ذكرياته).

وعندما بلغ الشاب الصواف ريعان الشباب نزل مع والده محمود الصواف للعمل في دكانه بتجارة الصوف، ثم بدأ يرتاد مساجد مدينته، فتعلق قلبه بها وبعلماء عصره مثل الإمام محمد أفندي الرضواني الذي التزم مسجده وحلقاته التربوية التي طبعت في الشاب الصواف معالم التربية الروحية السلوكية العالية في مسجده الكائن في منطقة شيخ محمد بشارع الفاروق القريب من منطقته في باب البيض، والشيخ صالح أفندي الجهادي الذي ختم الشاب الصواف قراءة القرآن الكريم في مسجده الكائن في باب الطوب.

- تحصيله العلمي:

وأخيراً استقر به المقام عند الشيخ عبدالله أفندي النعمة الذي أسس المدرسة الفيصلية الوقفية القريبة من جامع الرابعية، وهي عبارة عن مدرسة إسلامية شرعية تؤهل طلابها علمياً حتى تمنحهم الإجازة العلمية، وهي تؤهلهم بدورها للدراسة الجامعية.

دخل الشاب الصواف المدرسة الفيصلية الوقفية بعد أن أنهى دراسته الابتدائية الرسمية، فنهل من العلوم الشرعية النقلية والعقلية لمدة ٦ سنوات حتى تخرجه فيها عام ١٩٣٦ - ١٩٣٧م، وتم منحه الإجازة العلمية على يد شيخه عبدالله النعمة في حفل حضره عامة الناس بالإعدادية الشرقية، وكان لقبه «التأجيزي» كما هو متعارف عليه جمال الدين محمد محمود الصواف.

- الشاب الصواف بين نشاط وطموح الطالب:

دعوته في الوسط السياسي الذي برزت فيه أحدثت تياراً إسلامياً حركياً

دراسة تاريخه استيعاب لتاريخ جماعة الإخوان بالعراق فترة قيادته التأسيسية وما بعدها

أدرك مبكراً التآمر الدولي على الإسلام والأقصى ووطنه العراق فانخرط في مقاومة الإنجليز

عُرف بالداعية المجاهد حيث دمج في تكوينه بين المنهج الدعوي والجهادي

نشأ الشاب الصواف ذا قابلية حركية وطاقة فاعلة وقد دفعه إدراكه المبكر للتآمر الدولي على الإسلام والمسجد الأقصى ووطنه العراق إلى مقاومة الإنجليز، ففي أثناء دراسته الشرعية كان العراق واقعاً تحت الانتداب البريطاني، والجنود الإنجليز قابعين في قواعد عسكرية؛ فانضم إلى التجمع العربي القومي في الموصل، وهو تنظيم سري عني بمقاومة المحتل البريطاني في ثلاثينيات القرن الماضي، فكان يوزع المنشورات المحرضة على الجهاد، وكان من أنشطته المشاركة في المظاهرات من أجل فلسطين مع اشتعال ثورة الشيخ الشهيد عز الدين القسام عام ١٩٣٦م يقودها ذلك التشكيل السري، وكان مما يرددونه من هتافات:

فلسطين فلسطين

نفوس العرب تفديك

أيدنو منك صهيون

وجيش العرب يحميك

بين المنهج الدعوي والمنهج الجهادي:

كانت التربية الروحية المسجدية التي تلقاها، إضافة إلى تلك العوامل والظروف، قد كونت «الداعية المجاهد» داخل التكوين السيكولوجي لشخصية الشاب الصواف المتحمس، فقد تمتع الشاب الصواف بالدمج بين منهجين فريدين؛ هما المنهج الدعوي، والمنهج الجهادي، فكانا الدافع الأساسي في بروز شخصيته.

فإضافة لنشاطه في المقاومة انضم أيضاً إلى جمعية الشبان المسلمين في الموصل لتفعيل عمله الدعوي من خلالها، وكانت وظيفته جباية الاشتراكات كونه أصغر الأعضاء العاملين، وقد قام بتقديم اقتراح بإقحام الجمعية إلى ميدان السجون لانتشال السجناء من محنتهم النفسية وتوظيفها لخدمة الدين، فنجح اقتراحه ودخل مع أعضاء الجمعية للسجون بإلقاء محاضرات توعوية على السجناء.

وقد تخطى الشاب الصواف جمعية الشبان بسبب خطها الكلاسيكي التقليدي، فكوّن مع أقرانه جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتحقيق خطه الدعوي الحركي أهدافه.

كذلك كان شيخه عبدالله النعمة يمتلك فكراً إبداعياً، فقد كان يشجع طلابه في مدرسته «الفيصلية الوقفية» على الحركة بالدعوة وكان يسمي ذلك «تلطيفة الأسبوع».

فكل أسبوع كان ينتدب طالباً لممارسة عمل يدفعه لاكتساب مهارات في مجال العمل الدعوي والخيري، فكانت شخصية الشاب الصواف الحركية قد قفزت إلى تطبيق كل التلاطيف في أسبوع واحد، فلقّبه شيخه النعمة «جامع التلاطيف».

الدراسية الأزهرية.. بين الإنجاز والإحباط:

مع حركة الشاب الصواف في الموصل، كان حلمه الأسمى الدراسة في الجامع الأزهر بمصر، فأعلنت وزارة الأوقاف العراقية عن إرسال بعثة للدراسة في القاهرة، فجمع الشاب الصواف ثلة من طلبة العلم وترأسهم عام ١٩٣٩م تحقيقاً لطموحه.

علماً بأن الأوقاف الخاضعة لسلطة الانتداب البريطاني كانت قد فرضت شروطاً تعجيزية على طالب العلم الشرعي المبتعَث، منها قلة الدعم المالي للطالب - عمداً - مما اضطر الشاب الصواف إلى بيع كتبه الغالية عليه ومنها تفسير الإمام الشوكاني «نيل الأوطار» لتأمين ثمن الرحلة.

فشد الرحال إلى أرض الكنانة، ولكن البعثة فشلت بسبب قيام الحرب العالمية الثانية، إضافة إلى ظروف الحرب واجه الشاب الصواف نارين؛ نار البعثة غير المنسجمة التي شاكست خطه التربوي والعلمي؛ مما أدى إلى فشلها، ونار وفاة زوجته وولده نوفل ووالد زوجته الشيخ نجم الدين الأطراقجي، وهو أحد مريدي الإمام الرضواني، فعاد أدراجه تحت ضغط وإحباط شديدين؛ لا شهادة لا زوجة لا طفل.■

كيف أختار شريك حياتي؟ (٣ - ٣)

مرحلة ما بعد الخطبة وقبل البناء

بقلم: أ.د. يحيى عثمان

يمكنك إرسال استشارتك على أحد العنوانين البريدين التاليين:
info@mugtama.com
y3thman1@hotmail.com

بيّنا بالعددين السابقين في الرد على استشارة «الأخت المحتارة» في قبول أحد المتقدمين لخطبتها بعد رفضها للكثيرين قبله، أن منهجية اختيار شريك الحياة تتكون من ثلاثة محاور؛ هي:

أولاً: مفاهيم أساسية تساعد في ترشيد عملية الاختيار.

ثانياً: العوامل المؤثرة في الاختيار.

ثالثا: كيفية اختيار شريك العمر.

وعرضنا المحورين الأول والثاني، وسنتناول في هذا العدد المحور الثالث: كيفية اختيار شريك العمر.

كيفية اختيار شريك العمر:

في البداية، يجب أن يستفيد الخطيبان من فترة الخطبة ويستثمراها في تقييم موضوعي لإمكانية تحقيق الصورة الذهنية للحياة الزوجية المأمولة لكل منهما، هذا ليس معناه إطلاقاً إهمال الجانب العاطفي، ولكن المهم هو عدم طغيانه.

يجب على كل طرف أن يقيّم الآخر بعد كل لقاء، وإن كان هناك أي شبهة أو غموض عليه أن يحصل على ما يؤكد المعلومة أو ينفيها، سواء بالسؤال المباشر أو الاستنباط أو من أي مصدر ثقة، كذلك يجب الاستعداد لكل لقاء ببرنامج من التساؤلات عن سمات الشخصية التي سيرتبط بها حتى يزيد من قناعات القبول أو يتخذ قراره بالاعتذار أيضاً.. ويجب على أهل الفتاة دون الإخلال بالضوابط الشرعية أن يتيحوا الفرصة للخطيبين أن يجلسا معاً بما يمكنهما من خصوصية الحديث.

ولا أقصد أن يتحول لقاء الخطيبين إلى جلسات تحقيق بوليسية، ولكن ما نركز عليه هو الحضور الذهني الواعي والملاحظة والتقييم المستمر، كل منهما للآخر؛ حيث يجب أن تستغل فترة الخطبة لصياغة سمات وبناء معايير مشتركة للحياة الزوجية المرتقبة، فإن ضاعت في كلمات الحب فقط سيجد كل من الزوجين نفسه مع شخصية لا يعرفها، ويفاجأ بتصرفات لم يألفها ثم يلوم الطرف الآخر ويتهمه بأنه تغير، والواجب ألا يلوم إلا نفسه؛ لأن الطرف الآخر لم يتغير، ولكن هو الذي لم يحاول أن يتعرف إليه وغفل أو تغافل عن تقييمه وتبدأ المشكلات بعد العودة من رحلة الزواج، أو بعد حفلة الزواج.

يمكن تقييم شريك العمر المرتقب من خلال:

أولاً: تخصيص ٤ مجموعات من الأوراق كل مجموعة تسمى كما يلي:

أ- مجموعة القوة:

يتم تسجيل كل عناصر القوة (الإيجابية) في الطرف الآخر، ثم ترتيبها تنازلياً بحيث تكون أفضل وأعلى قيمة إيجابية هي الأولى ثم الأقل وهكذا، وليكن الترتيب كما يلي:

- الالتزام الديني.
- القدرة على تحمل المسؤولية.
- الالتزام المادي.
- ينمي ذاته ومتطور.
- الكفاءة الاجتماعية والثقافية.
- حاصل على درجة الماجستير.. إلخ.

ب- مجموعة الفرص:

تحتوي مجموعة الفرص العناصر الإيجابية في الطرف الآخر، ولكنها بالنسبة لنا تعتبر فرصة، أو لأنها تتميز بالندرة.

مثال ذلك: إذا كان الشاب يتميز بحلم الخلق ولا يثور ويغضب إلا عند الضرورة، والفتاة بطبيعتها تتوتر وتضطرب ولا تستطيع أن تتصرف بحكمة وروية إذا ما عاشت في بيئة عصبية مشحونة بالتوتر؛ فتعتبر ميزة حلم الخلق ليست مجرد عنصر إيجابي في الخاطب، ولكنها فرصة بالنسبة لهذه الفتاة، أما إذا كانت الفتاة ممن يحسن التعامل بحكمة وروية وتستطيع أن تأخذ بالأسباب

بحيث تحول الطرف الآخر من أن يثور أو يغضب، وإذا ما غضب تستطيع أن تتعامل معه بحكمة وتحتويه بحيث يذهب عنه ما به دون أن تتفاقم وتتعقد الأمور؛ ففي هذه الحالة يكون حلم الخلق بالنسبة لها مجرد ميزة وليست فرصة.

أيضاً يتم ترتيب عناصر الفرص تنازلياً طبقاً لأعلى فرصة ثم الأقل؛ مثال:

- يميل إلى المغامرة واقتحام الصعاب والتطوير الدائم؛ «أنا أمقت الرتابة وأفضل التغيير».
- يحضر للدكتوراه؛ «أنا أقدر العلم وأصحاب العقول المتميزة».
- منظم جداً ولديه الاستعداد لمساعدتي؛ «أنا غير منظمة».

جـ- مجموعة الضعف:

يسجل بها كل عناصر الضعف (السلبية)، ثم ترتب أيضاً بوضع أعلى قيمة سلبية في أعلى القائمة ثم الأقل سلبية وهكذا، وليكن الترتيب كما يلي:

- غير مهتم بمظهره.
- ليس بخيلاً، ولكنه محدود الكرم.
- هناك فجوة عمرية (أكبر مني ١٢ عاماً).

د- مجموعة التهديدات والمخاطر:

هي أصلاً عناصر ضعف، ولكن خطرها عالٍ جداً؛ مثال ذلك:

- إذا ما اتصف الشاب أو الفتاة بعدم الطموح والمبادرة، ويفهم الرضا بأسلوب سلبي ومتواكل، ولا يأخذ بأسباب الرقي وتنمية ذاته؛ فهذه ليست عناصر ضعف، وإنما تمثل تهديداً عالي المخاطر ليس على ذاته فحسب، ولكن على الأسرة التي يبنيها، وقد تزداد الأمور خطورة إذا ما تميز الطرف الآخر بعلو الهمة والمغامرة والجرأة والإقدام، ففي هذه الحالة يمثل الارتباط بهذه الشخصية مخاطرة كبيرة وتهديداً قد يدمر الحياة الزوجية بينهما.

التحليل واتخاذ القرار:

إذا تأكدنا أن العناصر الأساسية التي قررنا وجوب توافرها في الطرف المرشح للزواج، والعناصر السلبية التي قررنا ألا تكون متوافرة فيه، ففي هذه الحالة نتخذ القرار ببحث إمكانية اتخاذ قرار الزواج به، وهذا القرار تراكمي؛ بمعنى أننا نظل نجمع معلومات ونحللها ونعدل مستوى قناعتنا، ونظل على هذه الحالة إلى أن تصل قناعتنا الكاملة بإصدار القرار المناسب.

يجب التركيز - بل الحرص - على إظهار كل ما يمكن أن يعتبر صفة سلبية لدينا، وكذلك التعرف على ما يمكن أن يعتبر صفة سلبية في الطرف الآخر، هذا ليس معناه طمس الإيجابيات، ولكني أتعمد الإشارة إلى السلبيات؛ لأن كل طرف عادة ما يحاول أن يتجمل ويظهر ويبالغ في إظهار إيجابياته، بل قد يصل الأمر إلى أن يتصنع ويرتدي غير ثوبه.. وإذا ما كان بالنفس ميل فيتم التركيز على إيجابيات الطرف الآخر غافلاً أو متغافلاً سلبياته وكأنه يبرر لنفسه قراراً مسبقاً بالموافقة؛ لذا أوصي بالمتابعة والتحديث المستمر للقوائم الأربع، ومن ثم تعديل القناعات طبقاً لذلك.

ولنبدأ بتحليل السلبيات (مجموعة التهديدات والمخاطر، ومجموعة الضعف)؛ حيث يجب التفكير ملياً بها وتقدير المحاور التالية بالنسبة لكل سلبية:

١- ما الآثار المترتبة في المدى القريب وعلى المدى البعيد إن لم يتم التخلي عن هذا السلوك؟

٢- هل ينحصر أثره علينا فقط أم قد يمتد ليشمل آخرين، مثل: الأهل والأبناء.. إلخ؟

٣- هل هي صفة متأصلة بذاته أم عارضة؟

٤- ما مدى قناعته بإمكانية التخلي عنه، واستعداده لمعالجته مهما كانت المشقة؟

٥- ما معدل حدوثه (تكراره يومياً، أسبوعياً، نادراً)؟

٦- ما مدى استعدادنا للتفاعل معه في أقصى حالاته، وقدرتنا على استيعابه؟

٧- هل لديّ القدرة على معالجته؟

يجب أن نجد إجابة لهذه التساؤلات لكل العناصر الموجودة في قائمة التهديدات والمخاطر وقائمة الضعف.

إن التقييم يجب أن يتناول كل عنصر على حدة من حيث آثاره، وكذلك قيمته النسبية بالنسبة للمجموعة التي ينتمي إليها من حيث ترتيبه بين مجموعته، كما أن التقييم الكلي للمجموعة كوحدة متكاملة قد يعطي مؤشراً مختلفاً عن التقييم الأحادي لكل عنصر، فمثلاً في مجموعة القوة قد يكون العنصر الإيجابي ضعيف الوزن، ولكن بتعدد عناصر القوة وتكاملها تكتسب المجموعة كلها وزناً قوياً جداً يساعد على تحمل مجموعة الضعف والتهديدات.

وإذا ما كانت ثقافة الشاب أو الفتاة عالية ويحتاج إلى تحليل أكثر دقة؛ فإنه يمكن تحديد هيكل نموذج اتخاذ القرار بناء على محاور أو معالم التقييم، والتي قد تكون: الدين، المستوى الاجتماعي، المستوى المادي، المستوى الثقافي، الأخلاق والذوق العام، الشكل والمظهر العام، والعديد من المحاور الأخرى، والتي يستحيل أن تتطابق بين اثنين سواء من حيث الحصر أو من حيث التأثير، فبناءً على اعتبارات عديدة يصيغ كل شاب أو فتاة معايير التقييم الخاصة به، وكذلك الوزن النسبي لكل معيار.

فقد يرى شاب أنه يشترط فيمن يقترن بها أن تلبس الحجاب الشرعي، وتقيم الفرائض، وتعلم ما هو معلوم من الدين بالضرورة وكفى، في حين يشترط آخر النقاب، وأن تكون ذات علم ودراية، وتحفظ عدة أجزاء من القرآن، ويعتبر عدم توافر تلك الشروط ضعفاً وسبباً للاعتذار.

وعند التقييم نأخذ في الحسبان الوزن النسبي للمجموعة الفرعية، فترتب المجموعات الفرعية.

يلاحظ في هذا النوع من التحليل أن القرار لن يتأثر فقط بعدد العناصر الإيجابية والسلبية، ولكن أيضاً يساهم الوزن النسبي للمجموعة الفرعية التي ينتمي إليها في ترجيح قبول أو رفض قرار الزواج، فقد يكون هناك عشرات العناصر الإيجابية في مجموعتي القوة والفرص، ولكن عنصراً سلبياً واحداً في مجموعة التهديدات يرجح الاعتذار، مثل التدخين؛ لأن وزنه النسبي أعلى من كل الأوزان النسبية لمجموعتي القوة والفرص.

في النهاية:

وهناك عنصر رئيس تحكمي في قرار الزواج وهو الميل العاطفي، وهو عنصر مهم ورئيس، ولكنه غير كاف، فإن وجد أحد الأطراف منذ البداية نفوراً فعليه الاعتذار فوراً دون النظر لأي إيجابية.■

الأخيرة

الحج.. وتعظيم الحرمات والدماء

بقلم: د. يوسف السند

(ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ) (الحج:٣٠)، (ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾) (الحج).

جاء في تفسير الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: «ومن يعظم حرمات الله»؛ أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه، «فهو خير له عند ربه»؛ أي: فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما على فعل الطاعات ثواب جزيل وأجر كبير، وكذلك على ترك المحرمات و«اجتناب» المحظورات.

تأتي فريضة الحج كي تذكر المسلمين والعالم أجمعين - لو يسمعون - بحرمة الدماء والأعراض وكرامة الإنسان بعد أن اختلت الموازين وضعفت القيم.

في عالم تدفقت فيه شلالات الدماء وتفنن الإنسان في إزهاق روح أخيه الإنسان بأبشع صورة وأفظع طريقة وأشنع مثال بما لم تعرفه البشرية من قبل!

وبأرخص وأتفه المبررات؛ دينية تارة ومذهبية وعنصرية قبلية تارة أخرى، وبتناقضات عجيبة وغريبة.

قتل امرئ في غابة جريمة لا تُغتفر

وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر!

ولتعظيم الحرمات وتأصيلها تتنوع أسماؤها وتختلف مصطلحاتها وأحجامها، من الشعرة إلى الشجرة، وصيد البر، والأسماء كذلك تدلل على الحرمات؛ أرض الحرم، الإحرام، محظورات الإحرام، المُحرِم، المَحرم، الحُرم، حرمات، والفدية والكفارة والصوم لمن أخل بالمحرمات.

لقد تجرأ الإنسان على الحرمات واستهان بأخيه الإنسان؛ بدمه وماله وعرضه.. فتعاظمت جرائم القتل الإنسانية، وتكاثرت الاعتقالات التعسفية، وانتشرت الاختفاءات القسرية، وتنوعت المعاملات الربوية، وازدادت الجرائم الإرهابية، واشتدت الأزمات والحروب الطائفية والعنصرية.

يأتي الحج ليؤكد احترام الحرمات وصيانة الدماء والأموال والأعراض.

إن يوم الحج الأكبر يسميه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بـ«اليوم الأحرم»!

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيُّها الناسُ، أيُّ يوم أحْرَمُ؟ أيُّ يوم أحْرَمُ؟ أيُّ يوم أحْرَمُ؟ قالوا: يومُ الحجِّ الأكبر، قال: فإنَّ دماءَكم، وأموالَكم، وأعراضَكم عليكم حرامٌ، كحُرْمَةِ يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهرِكم هذا، ألَا لا يَجْنِي جانٍ إلا على نفسه، ألَا ولا يَجْنِي والدٌ على ولدِه، ولا وَلَدٌ على والدِه، ألَا إنَّ الشيطانَ قد أيِسَ أن يُعْبَدَ في بلدِكم هذا أبداً، ولكن ستكونُ له طاعةٌ في بعضِ ما تَحْتَقِرون من أعمالِكم، فيَرْضَى بها، ألَا إنَّ المسلمَ أخُو المسلم، فليس يَحِلُّ لمسلمٍ من أخيه شيءٌ إلا ما أحَلَّ من نفسه، ألَا وإنَّ كلَّ ربًا في الجاهلية موضوعٌ، لكم رؤوسُ أموالِكم لا تَظْلِمونَ ولا تُظْلَمُونَ، غيرَ ربَا العباسِ بنِ عبدِ المُطَّلب؛ فإنه موضوعٌ كُلُّه، وإنَّ كلَّ دمٍ كان في الجاهلية موضوعٌ، وأولُ دَمٍ أَضَعُ من دمِ الجاهلية دمُ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلب، ألَا واستَوْصُوا بالنساءِ خيراً، فإنما هُنَّ عَوَانٌ عندكم، ليس تملكونَ منهن شيئاً غيرَ ذلك، إلَّا أنْ يأْتينَ بفَاحشَةٍ مُبَيِّنَة، فإن فَعَلْنَ فاهجُروهن في المَضَاجِع، واضربوهن ضَرْباً غيرَ مُبَرِّح، فإن أطَعْنَكم، فلا تَبْغُوا عليهن سبيلاً، ألَا وإنَّ لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأمَّا حقُّكم على نسائكم؛ فلا يُوطِئْنَ فُرُشَكم مَن تَكْرَهون، ولا يَأْذَنَّ في بيوتِكم لِمَن تَكْرَهون، ألَا وإنَّ حَقَّهُنَّ عليكم أن تُحْسِنوا إليهنَّ في كِسْوَتِهنَّ وطعامِهنَّ» (الراوي: عمرو بن الأحوص رضي الله عنه، والحديث حسن).

فالحج تعليم وتربية وتذكير بل وتدريب وتوجيه على احترام الحرمات وصون وشائج الأخوة والزواج والقرابات والمصاهرات، ولعل هذا كله من فوائد ومنافع الحج: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) (الحج:٢٨).

والحمد لله رب العالمين.■